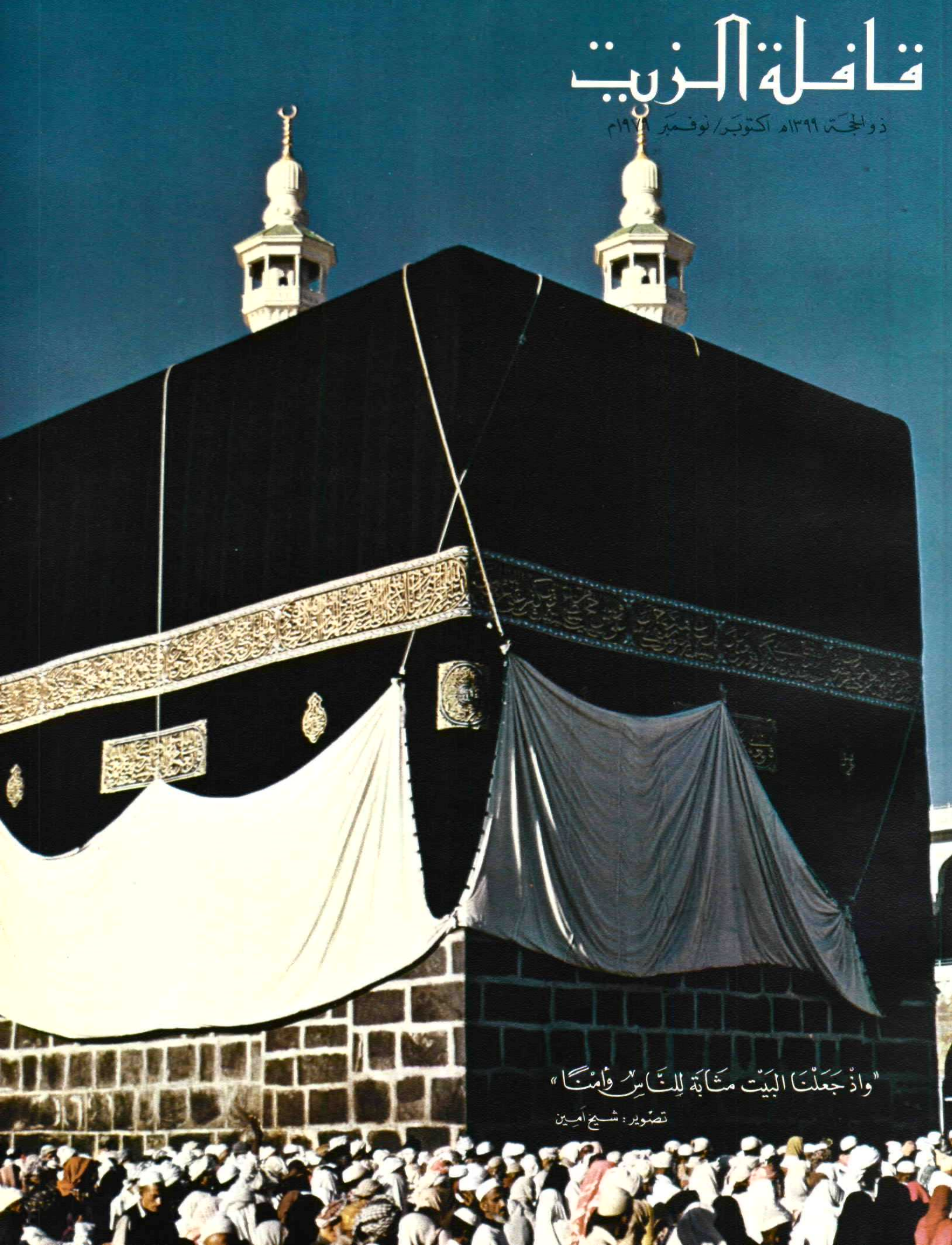


"وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا"

تصوير: شيخ أمين



"ربِّ اغفر لي وارحمني"

تصوير: علي عبدالله خليفه



عيد مبارك

يسعدني أن أغتنم فرصة حلول عيد الأضحى المبارك
لأقدم لزملائي المسلمين من موظفي "أرامكو"
وأفراد عائلاتهم أجمل التهاني وأطيب التمنيات سائلاً الله
أن يعيده عليهم جميعاً باليمن والإسعاد.

جان ج. كلبرر
جان ج. كلبرر
رئيس مجلس الادارة

كل عام وأنتم بخير

يسر هيئة تحرير «قافلة الزيت» أن تنتهز هذه المناسبة السعيدة لترفع إلى مقام جلالة الملك خالد المعظم وولي عهده الكريم وإلى حجاج بيت الله الحرام وإلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإلى قرائها الكرام أخلص التهاني وأسمى الأماني ضارعة إلى الباري جل وعلا أن يعيدهم جميعا إلى أمثاله بالخير والبركات.

هيئة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الثاني عشر – المجلد السابع والعشرون

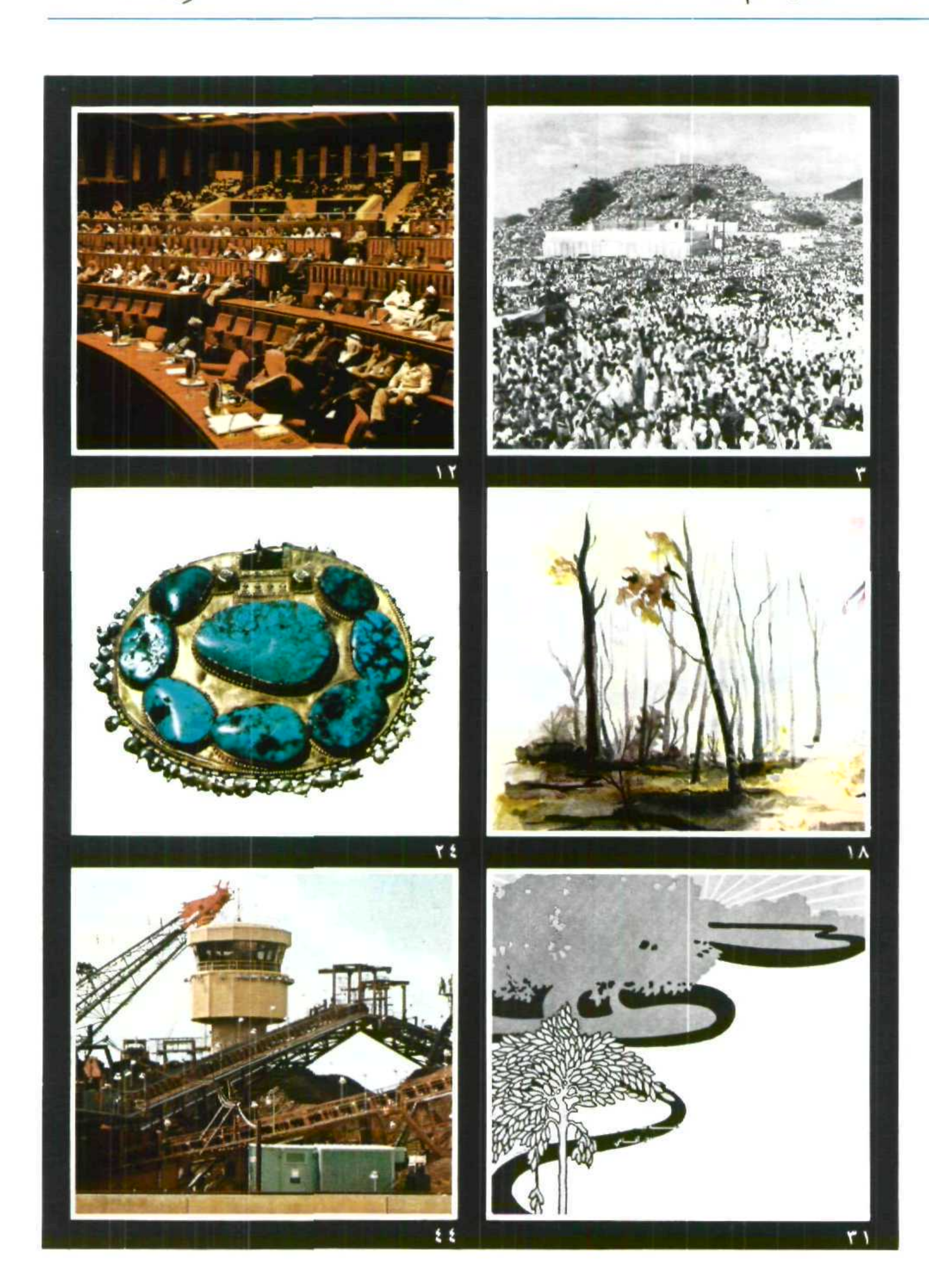
تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

• جميع المراسلات باسم رئيس التحرير .
• كل ما ينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها .
• تجوز اعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر .
• لا تقبل القافلة الا المواضيع التي لم يسبق نشرها .

المدير العام : فيصل محمد البسام • المدير المسئول : إسماعيل إبراهيم نواب • رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي • المحرر المساعد : عوني أبو كشك



تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع – الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL MUTAWA PRESS CO. DAMMAM

أضواء على الإحرام

بقلم: الدكتور أحمد جمال العمري

ما الاحرام ؟ .. وما سننه ؟

– هل يصح احرام من أحرم ولم يعين نسكاً ؟

– هل يصح احرام من أحرم بحجتين أو بعمرتين ؟

– ما أنواع الاحرام ؟

ما هي مواقيت الاحرام ؟

– هل يمكن أن ينعقد احرام بالحج قبل أشهره ؟

– هل يجوز لأحد دخول مكة بغير احرام ؟

– هل يجوز تأخير الاحرام عن الميقات المكاني ؟

– هل يجوز تقديم الاحرام عن الميقات المكاني ؟

ما هي تلبية الاحرام ؟

– ما لفظها .. وما معناها ؟

– ما وقتها .. وما حكمها ؟

– ما فضلها .. ومتى تستحب ؟

– كيف تؤدى التلبية ؟

ما يباح للمحرم وما يحظر عليه .

ما الاحرام ؟

جاء في معاجم اللغة مادة أحرم :

أحرم الرجل : دخل في الحرم . أو البلد الحرام . أو في الشهر الحرام ، أو في حرمة من عهد أو ميثاق . وأحرم بالصلاة : دخل فيها . وأحرم بالحج والعمرة : دخل في عمل يحرم عليه به ما كان حلالاً .

والبيت الحرام : الكعبة ، والمسجد الحرام : الذي فيه الكعبة ، والبلد الحرام : مكة ، والشهر الحرام : أحد الأشهر الأربعة التي كان العرب يحرّمون فيها القتال ، وهي : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب . وفي التنزيل : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم » .

والحرم : حرم مكة ، والحرمان مكة والمدينة .

المحرم : ذو الحرمة ، وهو ما حرم الله تعالى، جمعه : محارم ، والمحرم : لباس الاحرام .

والاحرام : الدخول في التحريم لأنه يحرم على نفسه بنيته ما كان مباحاً له قبل الاحرام من النكاح والطيب والحلق ونحو ذلك .

والاحرام شرعاً : هو نيّة أحد النسكين : الحج أو العمرة أو هو نيتهما معاً .

وهو ركن لقوله تعالى : « **وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** » . وقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى » . والنية محلّها القلب ، ولا يشترط التلفظ بها .

وللاحرام سنن وآداب ينبغي مراعاتها :

أولها النظافة : وتتحقق « بتقليم الأظافر ، وقص الشارب ، ونتف الابط ، وحلق العانة » . والوضوء أو الاغتسال وهو أفضل ، وتسريح اللحية وشعر الرأس .

قال ابن عمر رضي الله عنهما : « من السنة أن يغتسل اذا أراد الاحرام ، واذا أراد دخول مكة » (١) قال زيد بن ثابت : « ان النبي صلى الله عليه سلم، اغتسل لاحرامه » (٢) و عن ابن عمر ، « ان النبي (ص) كان يخرج وعليه ثيابه جامعها عليه ، وعليه برنسه حتى اذا أتى ذا الحليفة تجرد واغتسل » (٣) .

وان كانت امرأة حائضاً أو نفساء اغتسلت للاحرام ، لأن النبي (ص) « أمر أسماء بنت عميس وهي نفساء أن تغتسل . وأمر عائشة أن تغتسل لاهلال الحج وهي حائض . ولأنه غسل يراد للنسك ، فاستوى فيه الحائض والطاهر . ومن لم يجد الماء يتيمم ، لأنه غسل مشروع ، فانتقل منه الى التيمم عند عدم الماء أو العجز عن استعماله لنحو مرض ، لعموم قوله تعالى : **« فلم تجدوا ماء فتيمموا »** (٤) . وأما الأخذ من الشعر والظفر عند الاحرام ، فلما ورد عن ابراهيم قال : كانوا يستحبونه اذا أرادوا أن يحرموا أن يأخذوا من أظفارهم وشواربهم ، وأن يستحدوا ثم يلبسوا أحسن ثيابهم » (٥) .

ثانياً : التجرد من الثياب المخيطة ، ولبس ثوبي الاحرام ، وهما : رداء يلف النصف الأعلى من البدن دون الرأس ، وازار يلف النصف الأسفل منه . قال ابن عباس : « انطلق رسول الله (ص) من المدينة بعدما ترجل وأدهن ولبس ازاره ورداءه ، هو وأصحابه » (٦) . وقال صلى الله عليه وسلم : « وليحرم أحدكم في ازار ورداء ونعلين » (٧) . وينبغي أن يكونا أبيضين ، فان الأبيض أحب الثياب الى الله تعالى . ورد عن ابن عباس ، أن النبي « ص » قال : « من خير ثيابكم البياض، فليلبسها أحياؤكم ، وكفنوا فيها موتاكم » (٨) .

ثالثاً : التطيب للاحرام .. في البدن والثياب ، وان بقي أثره عليه بعد الاحرام (٩) . فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كأني أنظر الى وبيض الطيب (بريقه) في مفرق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو محرم » (١٠) . وفي رواية : «كنت أطيب رسول الله » (ص) « بأطيب ما كنت أجد حتى أرى وبيض الطيب في رأسه ولحيته قبل أن يحرم » و في رواية : « طيبت رسول الله (ص) بيدي بزريرة في حجة الوداع للحل والاحرام . وفي رواية « طيبت رسول الله » (ص) « عند حرمه بأطيب الطيب » .

وعن عائشة أيضاً أنها قالت : «كنا نخرج مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى مكة ، فتنضح جباهنا بالمسك عند الاحرام ، فاذا عرقت إحدانا سال على وجهها فيراه النبي « ص » فلا ينهانا » (١١) .

رابعاً : الصلاة ركعتين ، ينوي بهما سنة الاحرام ، يقرأ في الأولى منهما ، بعد الفاتحة ، سورة « الكافرون » وفي الثانية سورة « الاخلاص » .

قال ابن عمر ، رضي الله عنهما ، كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يركع بذى الحليفة ركعتين » (١٢) .

بعد الانتهاء من الغسل والتنظيف والتطيب ولبس ثياب الاحرام ، ينوي بقلبه الدخول في النسك الذي يريده من حج أو عمرة لقول النبي « ص » : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى » . ويشرع له التلفظ بما نوى فان كان نية العمرة قال : « لبيك عمرة » وان كان نيته حجاً قال : « لبيك حجاً » أو قال « اللهم لبيك حجاً » ، لأن النبي ، صلى الله عليه وسلم فعل ، ذلك . ولا يشرع له التلفظ بما نوى الا بالاحرام خاصة ، لوروده عن النبي ، صلى الله عليه وسلم .

روى مسلم عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله « ص » فقال : « من أراد أن يهلّ بحج وعمرة فليفعل ، ومن أراد أن يهلّ بحج فليفعل ، ومن أراد أن يهلّ بعمرة فليفعل . » قالت : وأهلّ رسول الله بالحج ، وأهل به ناس معه ، وأهل ناس معه بالعمرة والحج ، وأهل ناس بعمرة ، وكنت فيمن أهل بعمرة .

وسنّ أن يشترط في الاحرام .. فيقول المحرم : « اللهم اني أريد النسك (الفلاني) فيسره لي ، وتقبله مني ، وان حبسني حابس فمحلي حيث حبستني » . ويفيد هذا الشرط ، كما قال أهل العلم ، شيئين :

أولهما : اذا عاقه عدو أو مرض أو ذهاب نفقة ونحوه أن له التحلل .

وثانيهما : انه متى حل بذلك فلا شيء عليه ، لما ورد عن ابن عباس ، ان ضباعة بنت الزبير قالت : يا رسول الله ، اني امرأة ثقيلة ، واني أريد الحج فكيف تأمرني أهلّ : فقال : « أهلّي واشترطي أن محلي حيث حبستني » ، وفي رواية ، « فان لك على ربك ما استثنيت » قالت : « فأدركت » (١٣) .

وقد اختلف أهل العلم حول الاشتراط في الاحرام :

فمن يرى الاشتراط في الاحرام .. عمر وعلي وابن مسعود وعمار رضي الله عنهم ، وبه قال عكرمة والشافعي بالعراق . وممن أنكره .. ابن عمر والزهري ومالك وأبو حنيفة . قالوا : ان ابن عمر كان ينكره ، ويقول حسبكم سنّة نبيكم ، صلى الله عليه وسلم ، ولأنها عبادة تجب بأصل الشرع فلم يفد الاشتراط فيها كالصلاة . جاء في الاختيارات الفقهية ، « ويستحب للمحرم الاشتراط ان كان خائفاً ، والا فلا » .

ما أنواع الاحرام ؟

الاحرام أنواع ثلاثة : قران ، تمتع ، افراد . وقد اتفق العلماء على جواز كل واحد

(١) رواه البزار والدار قطني والحاكم . (٢) أخرجه الترمذي . (٣) أخرجه سعيد بن منصور . (٤) النساء ٤٣ . (٥) أخرجه سعيد بن منصور .
(٦) رواه البخاري . (٧) رواه أحمد . (٨) أخرجه البيهقي . (٩) كرهه بعض العماء والحديث حجلة عليهم . (١٠) رواه البخاري ومسلم .
(١١) رواه أحمد وابو داود . (١٢) رواه مسلم. (١٣) رواه البخاري .

من هذه الأنواع الثلاثة ، وحجتهم في ذلك : حديث عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : « خرجنا مع رسول الله « ص » عام حجة الوداع ، فمنا من أهلّ بعمرة ، ومنا من أهل بحج وعمرة ، ومنا من أهل بالحج ، وأهلّ رسول الله « ص » بالحج . فأما من أهلّ بعمرة ، فحلّ عند قدومه ، وأما من أهل بحج ، أو جمع بين الحج والعمرة فلم يحلّ ، حتى كان يوم النحر »(١٤) . فما معنى القران ؟ .. وما معنى التمتع ؟ .. وما معنى الافراد ؟ وأي الثلاثة أفضل ؟

القران : معناه الجمع بين الحج والعمرة باحرام واحد ، وهو أن يحرم من الميقات بالحج والعمرة معاً ، ويقول عند التلبية « لبيك بحج وعمرة » وهذا النوع من الانساك يقتضي بقاء المحرم على صفة الاحرام الى أن يفرغ من أعمال العمرة والحج معاً ، أو يحرم بالعمرة أولاً ، ثم يدخل عليها الحج قبل الطواف . ويرى فريق من الفقهاء . أنه أفضل الانساك ، لما روى أنس رضي الله عنه : « أن النبي (ص) جمع بين الحج والعمرة » وفي رواية «كان قارناً » وممن اختاره الثوري وأصحاب الرأي .

أما التمتع : فهو الاعتمار في أشهر الحج ، ثم يحج من عامه الذي اعتمر فيه ، وقد سمي هذا النسك « تمتعاً » للانتفاع بأداء النسكين في أشهر الحج في عام واحد من غير أن يرجع الى بلده ، ولأن المتمتع يتمتع بعد التحلل من احرامه بما يتمتع به غير المحرم من لبس الثياب والطيب وغير ذلك . وصفته : أن يحرم من الميقات بالعمرة وحدها ، ويقول عند التلبية « لبيك بعمرة » . وهذا يقتضي البقاء على صفة الاحرام حتى يصل الحاج الى مكة فيطوف بالبيت ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ويحلق شعره أو يقصره ، ويتحلل فيخلع ثياب الاحرام ، ويلبس ثيابه المعتادة ، ويأتي كل ما كان قد حرم عليه بالاحرام . الى أن يجيء يوم التروية فيحرم من مكة بالحج .

ويرى فريق ثان من الفقهاء . أن التمتع أفضل النسك ، لأنه آخر ما أمر به النبي ، صلى الله عليه وسلم . وممن اختاره من الصحابة والتابعين : ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وعائشة ومجاهد وعكرمة والشافعي .

أما الافراد : فهو أن يحرم من يريد الحج من الميقات بالحج وحده . ويقول في التلبية : « لبيك بحج » ويبقى محرماً حتى تنتهي أعمال الحج . ثم يعتمر بعد ذلك ان أراد .

ويرى فريق ثالث من الفقهاء أنه افضل الانساك ، لأنه فيه كمال النسكين ، ولانه يأتي بالحج تاما من غير احتياج الى جبر . وممن اختاره مالك وابو ثور وروي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وجابر وعائشة ، لما روت أن « رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفرد الحج » .

من هنا يتضح أن أهل العلم على خلاف حول أفضلية الانساك الثلاثه ، خاصة وقد دعم كل فريق منهم رأيه بمجموعة من الأحاديث الصحيحة ، ولم يصلوا الى قرار حاسم . ولكنهم اتفقوا جميعاً على جواز كل نسك منها . وان للمرء أن يختار ما يناسب ظروفه ووقته .

وهنا تطوف بالذهن مجموعة من التساؤلات .. وسنلقي عليها بعض الأضواء اذا حاضت المرأة المتمتعة فخشيت فوات الحج .. فماذا تفعل ؟

قال الفقهاء : اذا حاضت المرأة المتمتعة قبل طواف العمرة ، فخشيت فوات الحج . أحرمت به وجوباً وصارت قارنة لما روى مسلم ، ان عائشة كانت متمتعة فحاضت فقال لها النبي ، صلى الله عليه وسلم : « أهلّي بالحج » .

هل يصح احرام من أحرم دون أن يعين نسكاً

قال أهل العلم : من أحرم وأطلق ، فلم يعين نسكاً صح احرامه لتأكده وكونه لا يخرج منه بمحظوراته ، وصرف الاحرام لما شاء من الانساك .. الافراد أو التمتع أو القران ، وما عمل قبل صرفه لأحدهما فهو لغو لا يعتدّ به لعدم التعيين .

قالوا : ولو أهلّ ولبى ، كما يفعل الناس ، قصداً للنسك ، ولم يسمّ شيئاً بلفظه ، ولا قصد بقلبه لا تمتعاً ولا افراداً ولا قراناً ، صح حجه أيضاً ، وفعل واحداً من الثلاثة .

وان أحرم بما أحرم به (فلان) ، أو أحرم بمثل ما أحرم به فلان ، وعلم ما أحرم به فلان قبل احرامه ، أو بعد ، انعقد احرامه بمثله . لحديث جابر : « أن علياً قدم من اليمن ، فقال النبي « ص » بم أهللت ؟ فقال : بما أهلّ به النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : فاهدي وامكث حراماً »(١٥) .

هل يجوز أن يحرم الحاج بحجتين ؟

قال أهل العلم : من أحرم بحجتين أو أحرم بعمرتين انعقد بأحدهما ، لأن الزمن لا يصلح لهما مجتمعين . فيصح بواحدة منهما فقط .

ومن أحرم بنسك تمتع أو افراد أو قران ونسيه ، أو أحرم بنذر ونسيه قبل الطواف ، صرفه الى عمرة استحباباً لأنها اليقين ، ويجوز صرف احرامه الى غير العمرة لعدم تحقق المانع ، فان صرفه الى قران أو الى افراد يصح حجاً فقط ، لاحتمال أن يكون المنسي حجاً ، فلا يصح ادخال عمرة عليه ، ولا دمّ عليه لأنه ليس بمتمتع ولا قارن .

يبدأ الاحرام في أوقات محددة ، ومن مواضع معينة ، وهي ما اصطلح أهل العلم على تسميتها بالمواقيت .

(١٤) رواه أحمد والبخاري ومسلم ومالك . (١٥) متفق عليه .

ما هي المواقيت ؟

المواقيت جمع ميقات ، كمواعيد وميعاد ، وهي لغة الحدود .

والمواقيت شرعاً : مواضع وأزمنة معينة لعبادة مخصوصة ، وهي الحج والعمرة . وتنقسم الى قسمين :

مواقيت زمانية . ومواقيت مكانية .

أما المواقيت الزمانية : فهي الأوقات التي لا يصح شيء من أعمال الحج الا فيها ، وقد بينها الحق تبارك وتعالى في قوله : **« يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » . وقوله : « الحج أشهر معلومات »** أي وقت أعمال الحج أشهر معلومات .

وقد اتفق العلماء على أن أشهر الحج : شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، وقيل : وذو الحجة كله ، مع الاجماع على فوات الحج بعدم الوقوف بعرفة قبل الفجر من ليلة النحر .

وهنا يطوف بأذهاننا سؤال هام .. هل يمكن أن ينعقد الاحرام بالحج قبل أشهره ؟

ذهب ابن عباس وابن عمر وجابر والشافعي ، الى أنه لا يصح الاحرام بالحج الا في أشهره . وقال ابن عمر ، فيما رواه البخاري : « أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة » . وقال ابن عباس أيضاً : « من السنة أن لا يحرم بالحج الا في أشهر الحج » . وروى ابن جرير عنه ، قال : « لا يصح أن يحرم أحد بالحج الا في أشهر الحج » .

ويرى الأحناف ومالك وأحمد : أن الاحرام بالحج قبل أشهره يصح مع الكراهة . ورجّح الشوكاني الرأي الأول فقال : انه يقوي المنع مع الاحرام قبل أشهر الحج ، ان الله سبحانه ، ضرب لأعمال الحج أشهراً معلومة ، والاحرام عمل من أعمال الحج ، فمن ادعى أنه يصح قبلها فعليه الدليل .

أما المواقيت المكانية : فهي الأماكن التي يحرم منها من يريد الحج والعمرة ، ولا يجوز لحاج أو معتمر أن يتجاوزها دون أن يحرم . والمواقيت المكانية خمسة ، أربعة منها بتوقيت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وواحد مختلف فيه .. هل وقته النبي « ص » أو وقته عمر بن الخطاب .

أما الأربعة المجمع على نقلها عن النبي « ص » فهي :

– **ذو الحليفة :** وهو ميقات أهل المدينة ،ويسمى الآن « أبيارعلي » .

– **الجحفة :** وهي ميقات أهل الشام، وهي خراب الآن والناس يحرمون من « رابغ » وهي قبلها بقليل .

– **قرن المنازل :** وهو ميقات أهل نجد ، ويسمى الآن « السيل » .

– **يلملم :** وهو ميقات أهل اليمن .

أخرج توقيت هذه المواقيت الأربعة الشيخان في صحيحهما عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ، الا أن ابن عمر لم يسمع عن النبي « ص » توقيت « يلملم » لأهل اليمن ، بل سمعه من غيره ، وهو مرسل صحابي ، والاحتجاج بمراسيل الصحابة معروفة .

أما الميقات الخامس ، الذي اختلف العلماء فيه ، هل وقته رسول الله « ص » أو وقته عمر بن الخطاب ، فهو ذا عرق وهو ميقات أهل العراق .

قال النووي في شرح مسلم ، في حديثه عن ميقات ذات عرق ، واختلف العلماء : هل صارت ميقاتهم بتوقيت النبي « ص أم باجتهاد عمر ؟ وفي المسألة وجهان لأصحاب الشافعي ، أصحها وهو نص الشافعي في « الأم » بتوقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وممن قال من السلف أن ميقات « ذات عرق » منصوص عليه : عطاء ابن أبي رباح وحكاه ابن الصباغ عن أحمد ، وأصحاب أبي حنيفة .

أما الذين قالوا ، انه باجتهاد عمر ، فاستدلوا بما رواه البخاري في صحيحه ، عن ابن عمر قال : لما فتح هذان المصران أتوا عمر فقالوا : « يا أمير المؤمنين : ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حدّ لأهل نجد « قرناً » وهو جور عن طريقنا ، وانا ان أردنا « قرناً »شق علينا » ، قال : فانظروا حذوها من طريقكم ، فحدّ لهم « ذات عرق » . وقالوا : فهذا الحديث الصحيح صريح في أن توقيت « ذات عرق » باجتهاد من عمر .

وأما الذين قالوا : انه بتوقيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستدلوا بأحاديث ، منها : ما رواه مسلم في صحيحه ، باسناد ، قال أبو الزبير ، انه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن المهلّ ! فقال : سمعت أحسبه رفع الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلّ أهل المدينة من ذي الحليفة ، والطريق الآخر الجحفة ، ومهلّ أهل العراق من « ذات عرق » ومهلّ أهل نجد من « قرن » ، ومهلّ أهل اليمن من « يلملم » . واسناد هذا الحديث صحيح ، كما قال النووي ، الا أنه ليس فيه الجزم برفع الحديث الى النبي « ص » فلا يثبت رفعه بمجرد هذا .

وعن عائشة ، رضي الله عنها ، أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقت لأهل العراق ذات عرق(١) .. وعن عطاء عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه وقت لأهل المشرق : « ذات عرق »(٢) .

قال الشنقيطي : أظهر القولين عندي دليلاً ، أن « ذات عرق » وقتها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لأهل العراق ، والدليل على ذلك من وجهين : أحدهما : أن ذلك ثابت عن النبي « ص » في

(١) رواه أبو داود والدار قطني والنسائي . (٢) رواه البيهقي والشافعي .

أحاديث منها ما هو صحيح الاسناد ، ومنها ما في اسناده كلام ، وبعضها يقوي بعضاً .

والوجه الثاني : هو انما ثبت في صحيح البخاري من حديث ابن عمر ما يدل على أن توقيت « ذات عرق » لأهل العراق باجتهاد عمر ، كما قدمنا ، لا يعارض هذه الأدلة ، التي ذكرت ، على أنه منصوص . لاحتمال أن عمر لم يبلغه ذلك فاجتهد فوافق اجتهاده توقيت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو رضي الله عنه معروف أنه وافقه الوحي في مسائل متعددة ، فلا مانع من أن تكون هذه منها .

وأما اعلال بعضهم « حديث ذات عرق » بأن العراق لم تكن فتحت يومئذ فقد قال فيه ابن عبد البر : هي غفلة ، لأن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقّت المواقيت لأهل النواحي قبل الفتوح لأنه علم أنها ستفتح ، فلا فرق في ذلك بين الشام والعراق .

وهنا نقف قليلاً لنسلط الأضواء على بعض المسائل التي تتعلق بهذه المواقيت ..

أولاً : ان هذه المواقيت الخمسة المشار اليها ، مواقيت لكل من مر عليها من غير أهلها ، وهو يريد النسك حجاً كان أو عمرة . ففي حديث ابن عباس ، المتفق عليه ، في ذكر المواقيت « فهي لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلها لمن كان يريد الحج والعمرة » وهذا لفظ البخاري في صحيحه ، وفي رواية مسلم « هن لأهلهن ولكل آت أتى عليهن من غيرهم ممن أراد الحج والعمرة » .

ثانياً : ان من كان مسكنه أقرب الى مكة من الميقات ، فميقاته من موضع سكناه . ففي حديث ابن عباس ، المتفق عليه ، « فمن كان دونهن فمهله من أهله » وفي رواية « فمن كان دونهن فمن أهله » وفي لفظ « ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ » كل هذه الألفاظ في صحيح البخاري .

ثالثاً : أن من سلك الى الحرم طريقاً لا ميقات فيها ، فميقاته المحل المحاذي لأقرب المواقيت اليه ، كما يدل على ذلك توقيت عمر « ذات عرق » لأهل العراق لمحاذاتها قرن المنازل .

رابعاً : أن الجحفة ميقات لأهل مصر وأهل الشام ، وهذا أمر منصوص عليه ، بيد أن أهل مصر والشام اذا قدموا المدينة فميقاتهم من ذي الحليفة . وليس لهم أن يؤخروا احرامهم الى ميقاتهم الأصلي الذي هو الجحفة ، قرب رابغ ، أو ما حاذها ، لظاهر حديث ابن عباس « هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن » .

خامساً : ان من جاوز ميقاته غير محرم ، وهو يريد الحج ، عليه دم ، والدليل على ذلك أثر ابن عباس : « من نسي من نسكه شيئاً أو تركه فليهرق دماً » .

وأظهر أقوال أهل العلم ، أنه ان جاوز الميقات ، ثم رجع الى الميقات وهو لم يحرم ، فلا شيء عليه ، لأنه لم يبتدىء احرامه الا من الميقات . أما من جاوز الميقات غير محرم ، وأحرم في حال مجاوزته الميقات ، ثم رجع الى الميقات محرماً فعليه دم لاحرامه بعد الميقات ، ولو رجع الى الميقات ، فان ذلك لا يرفع حكم احرامه مجاوزاً للميقات ..

وهنا يحضرنا سؤال هام : اذا كانت هذه المواقيت المكانية قد وضعت للناس في الأمصار المختلفة والأماكن البعيدة ... فما هو ميقات أهل مكة ؟

قال أهل العلم : ان أهل مكة يهلون من مكة . واستندوا في ذلك الى حديث ابن عباس ، المتفق عليه ، « حتى أهل مكة يهلون منها » وفي لفظ « حتى أهل مكة يهلون من مكة » وكلا اللفظين في الصحيحين . وهذا بالنسبة الى الاهلال بالحج ، ولا خلاف فيه بين أهل العلم ، بيد أن بعضهم قال : يجوز للمكي أن يحرم من أي موضع من الحرم ، ولو خارجاً من مكة .

قال العمري ، وهو رأي ظاهر السقوط لمخالفته للنص الصريح عن النبي ، صلى الله عليه وسلم .

وأما اهلال المكي بالعمرة .. فجمهور أهل العلم على أنه لا يهلّ بالعمرة من مكة ، بل يخرج الى « الحل » ويحرم منه ، وهو قول الائمة الأربعة وأصحابهم .

قال صاحب تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ، في الفقه الحنفي ، « الوقت لأهل مكة الحرم في الحج ، والحل في العمرة للاجماع على ذلك » .

هل يجوز لأحد دخول مكة بغير احرام ؟

قال بعض أهل العلم : لا يجوز لأحد دخول مكة بغير احرام ، ولو كان دخوله لغرض آخر غير النسك . وقال بعضهم : ان كان دخول مكة لغرض غير النسك ، فلا مانع من دخوله غير محرم . والخلاف في هذه المسألة مشهور بين أهل العلم ..

أما الذين قالوا ، انه لا يجوز دخول مكة بغير احرام ، الا للمترددين عليها كثيراً كالحطابين وذوي الحاجات المتكررة ، كالمالكية والحنابلة ، فقد استدلوا بمجموعة من الأدلة .. منها ما رواه البيهقي في سننه عن ابن عباس أنه قال : لا يدخل مكة أحد من أهلها ولا من غير أهلها الا باحرام » . وعن عطاء عن ابن عباس : « فوالله ما دخلها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الا حاجاً أو معتمراً » . ومنها : ان دخول مكة بغير احرام مناف للتعظيم اللازم لها .

أما الذين قالوا ، يجوز دخول مكة بلا احرام لمن لم يرد نسكاً ، فاحتجوا بأدلة : منها : ما رواه البخاري في صحيحه

« باب دخول الحرم ومكة بغير احرام » قال : انما أمر النبي « ص » بالاهلال لمن أراد الحج والعمرة ، ولم يذكر الحطابين وغيرهم » ، ثم ساق بسنده حديث ابن عباس « هن لهن ولكل آت أتى عليهن من غيرهم ممن أراد الحج والعمرة » . ومراد البخاري ، أن مفهوم قوله « ممن أراد الحج والعمرة » أن من لم يرد الحج والعمرة لا احرام عليه ولو دخل مكة .

قال الفقهاء المعاصرون : ان من أراد دخول مكة لغرض غير الحج والعمرة أنه لا يجب عليه الاحرام ، ولو أحرم كان خيراً له ، لأن أدلة هذا القول أقوى وأظهر ، فحديث ابن عباس ، خص فيه النبي ، « ص » ، الاحرام بمن أراد النسك وظاهره ، ان من لم يرد نسكاً فلا احرام عليه. وقد تواترت الروايات الصحيحة بدخول النبي « ص » مكة يوم الفتح غير محرم ، ودخول ابن عمر غير محرم أيضاً .. وأما قول بعض أهل العلم ، من المالكية وغيرهم ، إن دخول مكة بغير احرام من خصائصه « ص » فهو لا تنهض به حجة ، لأن المقرر في الأصول وعلم الحديث أن فعله صلى الله عليه وسلم ، لا يختص حكمه به الا بدليل يجب الرجوع اليه ، لأنه هو المشرع لأمته بأقواله وأفعاله وتقريره كما هو معلوم .

يبقى هنا سؤال .. ما حكم تأخير الاحرام عن الميقات ، أو تقديمه عليه ؟

قال أهل العلم : انه لا يجوز تأخير الاحرام عن الميقات ممن يريد حجاً أو عمرة ، وهذا الأمر بينهم لا خلاف فيه . لذلك برروا ما رواه مالك في الموطأ عن نافع ، أن عبد الله بن عمر أهلّ من « الفرع » ، وهو مكان وراء ميقات أهل المدينة ، الذي هو ذو الحليفة ، بأن هذا محمول على أنه وصل الفرع ، وهو لا يريد النسك ، ثم طرأت على نية النسك بالفرع فأهلّ منه . وهذا متعين ، لأن ابن عمر ممن روى المواقيت عن رسول الله « ص » فمن المعلوم أنه لا يخالف ما سمعه من الرسول الكريم .

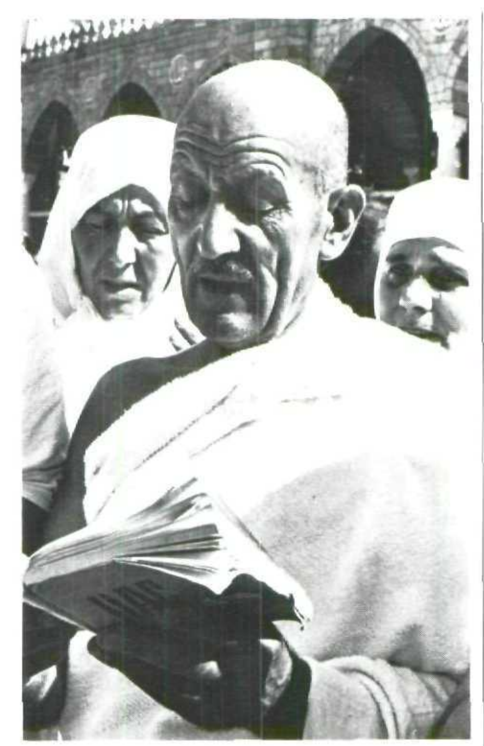
أما الاحرام من موضع فوق الميقات ، فأكثر أهل العلم على جوازه ، وحكى غير واحد عليه الاتفاق . بيد أنهم اختلفوا في الأفضل من الأمرين وهما : الاحرام من الميقات .. أو الاحرام من بلده ان كان أبعد من الميقات ؟

فقال النووي في شرح المهذب : أجمع من يعتد به من السلف والخلف من الصحابة فمن بعدهم على أنه يجوز الاحرام من الميقات ومما فوقه .. أي قبله .

وحكى العبدري وغيره عن داود : أنه قال : لا يجوز الاحرام مما فوق الميقات ، وأنه لو أحرم مما قبله لم يصح احرامه ، ويلزمه أن يحرم من الميقات . وهذا القول مردود عليه باجماع من قبله .

وحجة الذين قالوا ان الاحرام من الميقات أفضل ، أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أحرم في حجته وعمرته من الميقات ، وهو ذو الحليفة ، وهذا مجمع عليه من أهل العلم ، وأحرم معه في حجه وعمرته أصحابه كلهم من الميقات ، وكذلك كان يفعل بعده خلفاؤه الراشدون وغيرهم من الصحابة والتابعين . فكون النبي « ص » قد ترك الاحرام من مسجده — الذي صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام — واحرامه من الميقات ، دليل واضح لا شك فيه .. ان السنة هي الاحرام من الميقات لا مما قبله .

أما الذين قالوا ، ان الاحرام مما فوق الميقات أفضل .. فقد احتجوا بما رواه أبو داود في سننه عن أم سلمة ، زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنها سمعت رسول الله « ص » يقول : « من أهلّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى الى المسجد



الحرام غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر » . وفي رواية « وجبت له الجنة » . واحتج أهل هذا القول أيضاً ، بتفسير عمر وعلي رضي الله عنهما ، لقوله تعالى « **واتموا الحج والعمرة لله** » ، قالا : « اتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك » .

وأظهر القولين عندي دليلاً ، هو الاقتداء بالمصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، والاحرام من الميقات . فلو كان الاحرام قبله ، فيه فضل لفعله ، صلى الله عليه وسلم ، والخير كل الخير في اتباعه .

عرفنا فيما سبق الاحرام .. وسننه وشروطه وأنواعه ، كما عرفنا مواقيت الاحرام المكانية والزمانية بقي أن نتعرف الى الغنصر الثالث المكمل للاحرام وهو تلبية الاحرام ..

ما هي تلبية الاحرام ؟

ما لفظها وما معناها ؟ ما وقتها وما حكمها ؟ ما فضلها ومتى تستحب ؟

أما لفظها : فقد ثبت في الصحيحين ، من حديث ابن عمر « أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كان يقول في تلبيته ، اذا

أهل محرماً : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » . وقد أجمع أهل العلم على لفظ هذه التلبية ، ولكنهم اختلفوا في الزيادة عليها بألفاظ فيها تعظيم الله ودعاؤه ، ونحو ذلك ، فكره بعضهم الزيادة على التلبية الواردة عن رسول الله(١) ، وقالوا ان الأفضل هو الاقتداء بالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، والاقتصار على لفظ تلبيته الثابت في الصحيحين وغيرهما لأن الله تعالى يقول : « **لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة** » . وهو صلى الله عليه وسلم يقول : « لتأخذوا عني مناسككم » . وقال بعض العلماء : ان الزيادة التي وردت لا بأس بها ، ودليلهم على ذلك : ما رواه مسلم في صحيحه ، عن ابن عمر ، بعد أن ساق حديثه بلفظ تلبية النبي « ص » قال : كان عبد الله يزيد مع هذا : « لبيك لبيك وسعديك ، والخير بيديك لبيك ، والرغباء اليك والعمل » . وروى مسلم أيضاً ، أن عبد الله بن عمر قال : كان عمر بن الخطاب ، والده رضي الله عنهما ، يهلّ باهلال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من هؤلاء الكلمات ، ويقول : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك ، والخير في يدك والرغباء اليك والعمل » .

قال ابن حجر في الفتح ، بعد أن ذكر الرواية عن عمر بن الخطاب وابنه ، فعرف أن ابن عمر اقتدى في ذلك بأبيه وقال أهل العلم : ان الزيادة على تلبية النبي «ص» لو كان فيها محذور لما فعلها أمير المؤمنين وابنه عبد الله .

وأما معناها : فهي من لبّى بمعنى أجاب ، فالتلبية اجابة دعوة الله تعالى لخلقه حين دعاهم الى حج بيته على لسان خليله ابراهيم . وحول اشتقاقها تعددت أقوال العلماء ..

قال سيبويه : لفظة « لبيك » مثناه ، وتثنيتها للتكثير ، أي اجابة بعد اجابة ، ولزوماً لطاعتك . وقال يونس بن حبيب : « لبيك » اسم مفرد لا مثنى له ، وانما انقلبت ألفه ياء لاتصالها بالضمير ، كما قلبت ألف « لدى والى وعلى » في حالة الاتصال بالضمير ، فتقول « لديك واليك وعليك » بابدال الألف ياء .

قال جمهور أهل اللغة ، الأظهر قول سيبويه ، ومما يدل على ذلك أنه سمع في كلام العرب ثبوت الياء مع الاضافة للاسم الظاهر لا الضمير ، كما في قول شاعر بني أسد :

دعوت لما نابني مسورا
فلبى فلبى يدى مسور

وقال ابن الانباري : ثنوا « لبيك » كما ثنوا حنانيك ، أي تحنناً بعد تحنن . وجمع القاضي عياض ، ما قيل في لبيك ، قال : اختلفوا في معنى لبيك واشتقاقها ، فقيل معناها : اتجاهي وقصدي اليك ، مأخوذة من قولهم « داري تلب دارك » أي تواجهها . وقيل معناها : محبتي لك ، مأخوذة من قولهم « امرأة لبّة » أي محبة ولدها عاطفة عليه . وقيل معناها : اخلاصي لك ، مأخوذة من قولهم « حب لباب » اذا كان خالصاً محضاً . وقيل معناها : أنا مقيم على طاعتك واجابتك ، مأخوذة من قولهم : لبّ الرجل بالمكان وألبّ به اذا أقام فيه . وقيل في لبيك : أي قرباً منك وطاعة . والالباب : القرب . وقال أبو نصر : معناها : أنا ملب بين يديك أي خاضع . وقال الزمخشري : معنى لبيك ، أي دواماً على طاعتك واقامة عليها مرة بعد أخرى .

وأقول : التلبية هي الاستسلام المنقاد ، ومعنى « لبيك اللهم » : انا مجيبون يا مولانا لدعوتك ، مستسلمون لحكمتك مطيعون لأمرك مرات بعد مرات ، لا نزال على عهدنا ، معترفين لك بالملك دون سواك .

وقت التلبية

أما أول وقت التلبية ، فأظهر أقوال أهل العلم فيه ، أنه أول الوقت الذي يركب فيه المحرم مركوبه ، عند ارادة ابتداء السير ، لصحة الأحاديث الواردة بأنه ، صلى الله عليه وسلم ، أهلّ حين استوت به راحلته .

قال البخاري في صحيحه : « باب من أهل حين استوت به راحلته قائمة » :

عن نافع ، عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : أهلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين استوت به راحلته قائمة » . وعن نافع قال : «كان ابن عمر ، رضي الله عنهما ، اذا صلى بالغداة بذي الحليفة ، أمر براحلته ، ثم ركب ، فاذا استوت به استقبل القبلة قائماً ، ثم يلبي حتى يبلغ الحرم ، ثم يمسك ، حتى اذا جاء « ذات طوى » بات به ، حتى يصبح ، فاذا صلى الغداة اغتسل » ، وزعم أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فعل ذلك . وعن نافع أيضاً قال : كان ابن عمر اذا أراد الخروج الى مكة أدهن بدهن ليس له رائحة طيبة ، ثم يأتي مسجد الحليفة ، فيصلي ، ثم يركب ، واذا استوت به راحلته قائمة أحرم ، ثم قال : هكذا رأيت النبي ، « ص » يفعل .

فهذه الروايات الصحيحة الثابتة ، واضحة الدلالة في أن أول وقت الاحرام والتلبية عندما يركب ، حالة شروعه في السير من الميقات .

حكم التلبية

وأما حكم التلبية ، فقد اختلف فيه أهل العلم اختلافاً معروفاً ..

قال ابن حجر ، في فتح الباري ، في حكم التلبية مذاهب أربعة يمكن توصيلها الى عشرة :

الأول : أنها سنة من السنن لا يجب بتركها شيء . وهو قول الشافعي وأحمد .

---

(١) حكى ذلك ابن عبد البر عن مالك ، وقال : وهو أحد قولي الشافعي .

والثاني : أنها واجبة ويجب بتركها دم، حكاه الماوردي عـن أبي هريرة ، وقال انه وجد للشافعي نصاً يـدل عليه .

والثالث : أنها واجبة لكن يقوم مقامها فعل يتعلق بالحج ، كالتوجه على الطريق ، وبهذا قـال المالكية . وحكى صاحـب الهداية ، من الحنفية ، مثله ، لكن زاد القول الذي يقوم مقام التلبية من الذكر ، كما في مذهبهم من أنه لا يجب لفظ معين .

وقال أصحاب الرأي : ان كبّر أو هلّل أو سبّح ينوي بذلك الاحرام فهو محـرم .

والرابع : أنها ركن في الاحرام لا ينعقد بدونها ، حكاه ابن عبد البر عن الثوري وأبي حنيفة وابن حبيب من المالكية .

وقال أهل الظاهر : هي نظيرة تكبيرة الاحرام للصلاة ، وهو قول عطاء قال : « التلبية فرض الحج » . قال داود : إنه لا بد من رفع الصوت بها ، وهذا قدر زائد على أصل كونها ركناً .

فاذا عرفنا الآن مذاهب أهل العلم في التلبية ، فيجب أن نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد لبى ، كما ذكرنـا ، وقال : « لتأخذوا عني مناسككم » فعلينا أن نأخذ عنه من مناسكنا « التلبية » ، وهذا القدر هو الذي قام عليه الدليل ، أما كونها مسنونة أو مستحبة أو واجبة لا يصح الحج بدونها ، وتجبر بالدم ، فكل ذلك لم يرد فيه دليل خاص . والخير كله في اتباعه ، صلى الله عليه وسلم .

والمهم أن نعرف أن الملبي لا يقطـع التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة : قال الفضل بن العباس رضي الله عنهما ، وكان رديف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من مزدلفة الى منى ، « أن رسول الله « ص » لم يزل يلبي حتى بلغ الجمرة » . وقوله في هذا الحديث الصحيح « حتى بلغ الجمرة » ، هو حجة من قال بقطع التلبية عند الشروع في الرمي لأن بلوغ الجمرة هو وقت الشروع في الرمي.

بيد أن بعض أهل العلم قال : « حتى ينتهي رميه اياها » ، واستدلوا على ذلك بما رواه مسلم عن الفضل أيضاً : « ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يلبي حتى رمى جمـرة العقبة » .

والأظهر في قول الفقهاء ، أن الحاج يقطع التلبية عند الشروع في رمي العقبة ، لأن رواية مسلم « حتى رمى جمرة العقبة » يراد به الشروع في رميها لا الانتهاء منه . ومن القرائن الدالة على ذلك ما ثبت في الروايات الصحيحة من التكبير مع كل حصاة ، فظرف الرمي لا يستغرق غير التكبير مع الحصاة لتتابع رمي الحصيات .

أما فضل التلبية .. فيتضح لنا من قول الرسول الكريم ، فيما رواه ابن ماجة عن جابر ، رضي الله عنه ، قال : « قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ما من محرم يضحي يومه يلبي حتى تغيب الشمس الا غابت ذنوبه فعاد كما ولدته أمه » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، : « ما أهلّ مهلّ قط الا بُشّر ، ولا كبّر مكبّر قط الا بُشّر ، قيل : يا نبي الله ، بالجنـة ، قـال نعم »(١) .

وقد ذكر أهل العلم مجموعة مـن المسائل تتعلق بالتلبية وكيفية أدائها قالوا :

ينبغي للرجال رفع أصواتهم بالتلبية ، لما رواه مالك في الموطأ والشافعي وأحمد وأصحاب السنن أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهـم بالتلبية » . قال مالك ، في موطأه ، ليس على النساء رفع الصوت بالتلبية ، لتسمع المرأة نفسها . وعلل بعض أهل العلم خفض المرأة صوتها بالتلبية ، بخوف الافتتـان بصوتها . وقال الرافعي في شرحه الكبير ، المسمى فتح العزيز في شرح الوجيز : « وانما يستحب الرفع في حق الرجل ، ولا يرفع بحيث يجهد ويقطع صوته ، والنساء تقتصرن على اسماع أنفسهن ، ولا يجهرن كما لا يجهرن بالقراءة في الصلاة .

ويستحب الاكثار من التلبية في دوام الاحرام ، ويتأكد استحبابها في كل صعود وهبوط ، وحدوث أمر من ركوب أو نزول ، أو اجتماع رفاق ، أو فراغ من صلاة ، وعند اقبال الليل والنهار ووقت السحر ، وغير ذلك من تغاير الأحوال . روى جابر رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يلبي اذا رأى ركباً أو صعد أكمة أو هبط وادياً » .

ويستحب من المحرم أن يلبي في المسجد الحرام ، ومسجد الخيف بمنى ، ومسجد نمرة بقرب عرفات لأنها مواضع نسك ، بيد أن العلماء اختلفوا في التلبية فيما سوى ذلك من المساجد . وأظهـر الأقوال ، أنه يلبي في كل مسجد الا أنه لا يرفع صوته رفعاً يشوش على المصلين .

واستكمالاً للبحث وتوخياً للفـائدة العلمية نود أن نلقي بعض الأضواء على ما يباح للمحرم .. وما يحظر عليه ..

أقر الفقهاء ، بأنه يباح للمحرم الاغتسال وتغيير الرداء والازار ، واستعمال الصابون ولو كانت له رائحة ، وغيره من كل ما يزيل الاوساخ كالاشنان والسدر والخطمى ، وهي أنواع من النبات تستعمل في التنظيف مثل الصابون ، وكذلك يجوز نقض الشعر وامتشاطه ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، عائشة فقال : انقضي رأسك وامتشطي »(٢) . ويباح للمحرم

---

(١) رواه الطبري وسعيد بن منصور . (١) رواه مسـلم .

كذلك تغطية وجهه ، كما يجوز للمرأة لبس الخفين . قالت الشافعية : لا شيء على من غطى رأسه ناسياً ، أو لبس قميصه ناسياً ، وقال عطاء : لا شيء عليه ويستغفر الله تعالى . أما الأحناف فقالوا : عليه فدية . وكذلك الخلاف فيما اذا تطيب ناسياً أو جاهلاً . وقاعدة الشافعية : أن الجهل والنسيان عذر يمنع وجوب الفدية في كل محظور ، ما لم يكن اتلافاً كالصيد ، وكذلك الحلق والقلم ، أي قص الأظافر .

ويباح للمحرم أيضاً ، الحجامة ، أي فصد الدم من الرأس ، وفقء الدمل ، ونزع الضرس ، وقطع العرق ، وحك الرأس والجسد .

قال النووي : اذا أراد المحرم الحجامة لغير حاجة ، فان تضمنت قطع شعر فهي حرام لقطع الشعر وان لم تتضمنه جازت عند الجمهور . وكرهها مالك .

قال الحسن : فيها فدية . وان لم يقطع شعراً . وان كان لضرورة جاز قطع الشعر وتجب الفدية .

ويباح للمحرم كذلك ، النظر في المرآة وشم الريحان . روى البخاري عن ابن عباس . قال : « المحرم يشم الريحان ، وينظر في المرآة . ويتداوى بأكل الزيت والسمن » . وقال ابن المنذر : أجمع العلماء على أن للمحرم أن يأكل الزيت والشحم والسمن . على أن المحرم ممنوع من استعمال الطيب في جميع بدنه .

وكره الأحناف والمالكية المكث في مكان فيه روائح عطرية ، سواء أقصد شمها أم لم يقصد . وعند الحنابلة والشافعية ، ان قصد حرم عليه ، والا لا .

ويباح للمحرم شد الهميان في وسطه ، ليحفظ فيه نقوده . ويباح له لبس الخاتم والساعة . قال ابن عباس : « لا بأس بالهميان والخاتم للمحرم » .

كما يباح له التظلل بمظلة أو خيمة أو سقف ونحو ذلك .

ويباح للمحرم قتل الذباب والقراد والنمل والغراب والحدأة والفأرة والعقرب والكلب العقور ، وكل ما يؤذي ، وله أن يدفع ما يؤذيه من الآدميين والبهائم حتى ولو صال عليه أحد ، ولم يندفع الا بالقتال قاتله ، واذا قرصته البراغيث وغيرها فله القاؤها عنه ، وله قتلها ولا شيء عليه ، والقاؤها أهون من قتلها .

محظورات الاحرام

حظر الشارع على المحرم أشياء وحرمها عليه . فمن ذلك ما صرح الله بالنهي عنه في كتابه العزيز في قوله تعالى : **« فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج »** والصيغة في قوله : **« فلا رفث ولا فسوق ولا جدال »** صيغة خبر أريد بها الانشاء ، أي فلا يرفث ولا يفسق ولا يجادل . والأظهر في معنى الرفث في الآية الكريمة ، أنه شامل لأمرين :

أحدهما : مباشرة النساء بالجماع ومقدماته .

والثاني : الكلام بذلك ، كأن يقول المحرم لامرأته : ان أحللنا من احرامنا فعلنا كذا وكذا .

والأظهر في معنى الفسوق ، في الآية : انه شامل لجميع أنواع الخروج عن طاعة الله ، باكتساب السيئات ، واقتراف المعاصي .

والأظهر في معنى الجدال في معنى الآية ، أنه المخاصمة والمراء ، أي لا تخاصم صاحبك وتماره حتى تغضبه .

ويحظر على المحرم حلق شعر الرأس ، وقد صرح الحق سبحانه بذلك في قوله تعالى : **« ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله »** .

ويحظر عليه أيضاً ، تغطية رأسه لما ثبت في الصحيح من حديث ابن عباس : أن النبي « ص » قال في المحرم الذي خر عن راحلته فوقصته فمات « لا تخمروا رأسه ولا وجهه فانه يبعث يوم القيامة ملبيا »(١) . أما المرأة فانها تغطي رأسها ولا تغطي وجهها ، الا اذا خافت نظر الرجال الاجانب اليه .

ويحظر على المحرم لبس المخيط ، كالقميص والبرنس والقباء والجبة والسراويل والخفاف الا اذا لم يجد نعلاً . فانه يجوز له لبس الخفين ، ويلزمه أن يقطعهما أسفل من الكعبين .. ولا يجوز له أن يلبس ثوباً مسه ورس أو زعفران .

روى البخاري عن ابن عمر . أن رجلاً قال : يا رسول الله . ما يلبس المحرم من الثياب . قال رسول الله «ص» : « لا يلبس القمص المحرم . ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف الا أحد لا يجد نعلين . فليلبس خفين وليقطعهما أسفل من الكعبين . ولا تلبسوا من الثياب شيئاً مسه الزعفران أو ورس »(١)

وقد أجمع أهل العلم على أن هذا مختص بالرجل . أما المرأة فلا تلحق به . ولها أن تلبس جميع ذلك . ولا يحرم عليها الا الثوب الذي مسه الطيب والنقاب . أي ما يستر وجهها ، والقفازان . وقالوا : وان سترت المرأة وجهها بشيء فلا بأس . ويجوز ستره عن الرجل بمظلة ونحوها . ويجب ستره اذا خيفت الفتنة من النظر .

ويحظر على المحرم أيضاً تقليم الأظافر وازالة الشعر بالحلق أو القص أو بأية طريقة . سواء أكان شعر الرأس أو غيره . وأجمع أهل العلم على حرمة قلم الظفر للمحرم بلا عذر . فان انكسر فله ازالته من غير فدية . ويجوز ازالة الشعر اذا تأذى ببقائه ، وفيه الفدية . الا في ازالة شعر العين اذا تأذى به المحرم فانه لا فدية فيه ، قال الله تعالى : **« فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك »** ●

د . أحمد جمال العمري - القاهرة

(١) رواه مسلم . (٢) رواه مسلم .



الندوة العالمية للشباب الاسلامي

برزت الندوة العالمية للشباب الاسلامي كياناً اسلامياً رائداً في مجال الدعوة الى الاسلام، وشقت طريقها كياناً يضم بين جوانبه منظمات العمل الشبابي الاسلامي في انحاء متفرقة من العالم، كما أنها في الوقت نفسه ملتقى لمختلف علماء المسلمين ورجال الدين البارزين من أجل الدعوة الى الاسلام والتضامن بين المسلمين والعمل من أجل شباب الأمة الاسلامية ومستقبلهم وسلامة كيانهم متمثلين بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

والاسلام هو الدين الحق الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي حمل الرسالة وأدى الأمانة على أحسن وجه ، وهو الدين الحنيف الذي شاء الله له أن ينتشر في مشارق الأرض ومغاربها على أيدي رجال بررة حملوا الراية الاسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . والشباب المسلم ، وهو مطمح آمال هذه الأمة ، مطالب اليوم أكثر من أي وقت مضى بحمل الراية الاسلامية والدعوة الى التمسك بتقاليد الدين الاسلامي الحنيف ونشر تعاليم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبصير المسلمين بأمور دينهم ونصرة الحق . قال تعالى في كتابه العزيز « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم** ».

نبذة عن تأسيس الندوة العالمية للشباب الاسلامي

من أجل هذه الغاية السامية ومن أجل نشر تعاليم ديننا الاسلامي الحنيف والدعوة الى التمسك بتعاليم القرآن والسنة المشرفة تأسست الندوة العالمية للشباب الاسلامي عام ١٣٩٢ هـ الموافق عام ١٩٧٢ م في مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية وعقدت حتى الآن أربعة لقاءات عالمية بالمركز الرئيسي للندوة بالرياض قبيل موسم الحج في الأعوام ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٦ ، و ١٣٩٩هـ. وقد تم في هذه اللقاءات الأربعة اتخاذ العديد من القرارات والتوصيات الهامة الهادفة الى رفعة الدين واتحاد كلمة المسلمين في جميع أقطار العالم.

أهداف الندوة

من الأهداف السامية التي تسعى الندوة لتحقيقها خدمة الفكر الاسلامي بتوضيح الرؤية العقائدية الاسلامية على أساس التوحيد الخالص والعمل على تعميق الشعور بالعزة الاسلامية بين صفوف الشباب المسلم وتعميق أسباب الوحدة الفكرية والاسلامية بين الشباب المسلم وتعريف العالم بالاسلام ، ودعم المنظمات والجمعيات الخاصة بالشباب والطلاب المسلمين في جميع أنحاء العالم لرفع راية الاسلام ،والاسهام في توضيح دور الشباب والطلاب الايجابي في بناء المجتمع ، ومؤسسات الأمة الاجتماعية والاقتصادية ، وتوجيه الشباب المسلم وتبصيره بالدور القيادي الملقى على عاتقه بهدف الاسهام في بناء الأمة الاسلامية .



معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي رئيس الندوة العالمية للشباب الاسلامي يفتتح أعمال الندوة .

اللقاء العالمي الرابع للندوة العالمية للشباب الاسلامي

تم اللقاء الرابع للندوة في الفترة من ٢٠ الى ٢٧ من شهر ربيع الثاني عام ١٣٩٩ هـ الموافق ١٨ الى ٢٥ مارس ١٩٧٩ م بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات بفندق الانتركونتنتال بالرياض عاصمة المملكة العربية السعودية . وقد ضم هذا اللقاء ممثلين عن المنظمات الأعضاء في الندوة ينتمون الى ٨٠ دولة اسلامية وعدداً من القيادات الاسلامية العاملة ذات الاهتمام والصلة بنشاطات المنظمات الشبابية الى جانب عدد من القيادات الفكرية الاسلامية بهدف المشاركة في البحث في قضية من قضايا الفكر الاسلامي ذات الصلة بعمل الشباب لتكون محوراً للنشاط الفكري والثقافي خلال الاجتماعات ، ولتكون مساهمة علمية فكرية اسلامية تثري لقاء المشاركين في الندوة بما يسمعونه في الموضوع من خلال مناقشاتهم وتفاعلهم وتبادل خبراتهم العلمية في مختلف القضايا الاسلامية المطروحة على بساط البحث والمناقشة . وكان الموضوع الفكري في اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الاسلامي هو « الاسلام والحضارة ودور الشباب المسلم »

افتتح اللقاء الرابع للندوة معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي رئيس الندوة العالمية للشباب الاسلامي بكلمة رحب فيها بأعضاء الندوة وقال ان الهدف من هذا اللقاء هو جمع كلمة المسلمين والعودة بهم الى منابع الدين . وأوضح معاليه أن المملكة لم تقتصر على رعاية هذا الندوة كجزء من رسالتها الاسلامية بل دفعت بجامعاتها الى تقديم العديد من المنح للشباب المسلم في جميع المجالات وساهمت في المؤتمرات والمخيمات الاسلامية الأخرى . وأضاف معاليه : ان المملكة ستستمر في دورها الايجابي لايجاد الروابط بين أبناء العقيدة الواحدة عن طواعية وقناعة وايمان .

البحوث التي قدمت في اللقاء العالمي الرابع

ناقشت الندوة العالمية للشباب الاسلامي في لقائها الرابع خلال فترة انعقادها ، ناقشت زهاء ٣٣ بحثاً تقدم بها نخبة من الأساتذة والمربين والمهتمين بالعلوم الدينية والتشريعية . وقد تطرقت هذه البحوث الى عدة موضوعات كان من أبرزها « القيم الكبرى التي يقوم عليها المجتمع الاسلامي والحضارة الاسلامية » للدكتور محمد علي الهاشمي . وقد تركز البحث حول القيم الاسلامية وأهمها العدل ، والشورى والمساواة ، وتكافؤ الفرص ، والمحبة ،

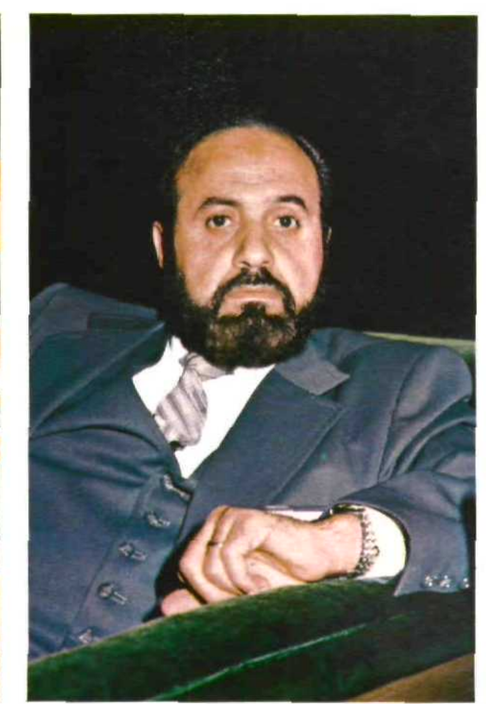



بعض الكتب الاسلامية في معرض الكتاب الاسلامي الذي افتتح أثناء انعقاد الندوة .


الدكتور صالح بن ناصر وكيل وزارة الاعلام والشؤون الاعلامية يستمع الى أحد المحاضرين .

والتآخي . والكرم . والايثار . و « القدوة ودور الشباب المسلم في المجتمع المعاصر » للدكتور مسعد سيد عويس ، تناول فيه مدى تطابق القدوة التي يقتدى بها النشء والشباب فعلياً من خلال ما تقدمه لهم أجهزة التنشئة التربوية القائمة من برامج تربوية متنوعة . وحول موضوع « كيف ننهض بالمجتمعات المسلمة المعاصرة » استعرض فيه الاستاذ محمد رأفت سعيد ، قيم العدل . والانفاق الخيّر . والصدق ، وقال : ان العدل قضية اجتماعية بالغة الحيوية . أما الانفاق الخيّر بضروبه المختلفة ابتداء بالزكاة وانتهاء بالايثار عند القمة السامقة . فهو الرد الاسلامي على الأنانية القاتلة التي تفترس المجتمعات غير الاسلامية . وأما الصدق فهو صوان المعرفة والحق وهذان هما أساس كل حياة اجتماعية راقية متحضرة . أما الاستاذ محمد عبد الله السمان . فقد تطرق في بحثه الى « الفكر الحضاري لدى بعض الفقهاء المسلمين . وقال :"ان الخلاف بين الفقهاء المسلمين في الرأي كان نتيجة فكر حضاري متقدم . وأن هذا الخلاف كان ضرورة اقتضتها دوافع المرونة والخلود لشريعة الله » وان اختلاف الفقهاء كان رحمة للمسلمين . وحول « انجازات الحضارة الاسلامية في ميدان العلوم والفنون » أشار الأستاذ حكيم امتياز حسين الى ما حققه المسلمون من انجازات في مجال العلوم الطبية . والصيدلة . والكيمياء . والرياضيات . والجغرافيا . والفن المعماري . وأثرها في تقدم الحضارات الأخرى .

ومن بين البحوث الهامة التي اتسمت بالنقاش الموضوعي بحث عن « التحديات الحضارية المعاصرة للأمة الاسلامية » تقدم به الأستاذ فيصل حسون . حيث أكد فيه فيه على أن الحضارة هي أسلوب الحياة التي يتمسك بها الانسان نتيجة ما حقق من تقدم فكري وعمراني . وأن الحضارة الاسلامية اعتمدت على ركائز اسلامية أهمها العقيدة بشمولها وخلوها من التعقيدات ودعوتها البشرية المفتوحة للهداية والرقي الذي يقدمه الاسلام كعقيدة ونظام . ثم تصدى بعد ذلك الى التحديات الايديولوجية والحضارية المعاصرة . وخلص الدكتور محمود فوزي حمد في بحثه « الاسلام والحضارة ودور الشباب المسلم » الى أن دور الشباب المسلم وواجبه يمليان عليه أن يأخذ بما جاء في القرآن الكريم ويهتدي بهدي النبوة . ويعمل جاهداً لاصلاح المجتمع ونشر الفضيلة والخير ويسعى دائماً لاقامة حكم الله في الأرض وتطبيق شرعه ليكفل السعادة للبشرية والحرية للشعوب ليقيم العدل والحق ، وينشر السلام . ويعم الخير تحت راية الاسلام . وحول مواقف الاسلام من حضارة العصر ومقاييسها ، أجرى الدكتور التهامي نقرة مقارنة مسهبة بين حضارة الاسلام وحضارة الغرب ودعا الى اعتبار الاسلام في كل عمل نحو المستقبل مع ما يستدعيه من اهتمام بلغتنا العربية وتاريخنا الهجري . وتساءل الأستاذ فتحي يكن في بحثه الذي قدمه للندوة بعنوان « الشباب والتغيير » لماذا التركيز دائماً على الشباب والاعتماد باستمرار عليه . فالاسلام حين يحرص على الشباب في تحقيق أهدافه



الاستاذ عمر الصوباني من الشخصيات التي شاركت في أعمال الندوة .



الدكتور التهامي نقرة أستاذ الدراسات القرآنية بكلية الشريعة وأصول الدين بتونس وأحد المشاركين في الندوة .



الدكتور عبد الحميد أبو سليمان الأمين العام للندوة العالمية للشباب الاسلامي .

التغييرية فليس لكونه الجيل الذي لديه الصفات والمواصفات التجريدية فحسب ، وانما يفرض ، فوق ذلك وقبل ذلك ، أن تتحقق في ذلك الجيل صفة الانتماء الى الاسلام والالتزام بمبادئه والشباب هو سن الهمم المتوثبة والآمال العريضة ، وهو سن العطاء والبذل والفداء ، ولا يعني ذلك اغفال دور الرجال والكهول أو اغماطهم حقهم أو الاقلال من شأنهم ، ففي منطق الاسلام كل انسان له دوره واستشهد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اغتنم خمس قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك ، وفراغك قبل شغلك » . وفيما يتصل بالقيم الحضارية في رسالة الاسلام ، أبان الدكتور محمد فتحي عثمان في بحثه حول هذا الموضوع ، أهمية الحضارة بالنسبة لظروف العالم المعاصر مؤكداً أن القيم الاسلامية التي انبتت حضارة الاسلام في جذورها الراسخة وخصائصها الاخلاقية المتفردة القادرة دوماً على تجدد الاثمار والعطاء ما



الدكتور علي عبد العزيز عبد القادر من جامعة الملك فيصل يستمع الى أحد المحاضرين .

رعى المؤمنون بذرة الايمان في قلوبهم أفراداً وجماعات تؤتي أكلها في كل مجال وكل حين باذن ربها . وواجب شباب الاسلام أن يشيعوا هذه الحضارة في أنفسهم وفكرهم وسلوكهم وأن يستجيبوا لقيم الاسلام ومعاييره .

وعن دور الشباب بصفة عامة في المجتمع ، قدم الدكتور عبد المجيد العبد بحثاً ضمنّه تحليلاً شاملاً أبان فيه نواحي القصور التي تظهر عادة في المجتمعات الاسلامية بهدف تدارك هذا القصور باستخدام أساليب جديدة في وسائل اعداد الشباب المسلم لتأدية رسالته المنتظرة . كما قدم الدكتور عبد الحميد أحمد ابو سليمان الأمين العام للندوة بحثاً بعنوان « الاسلام ومستقبل الانسانية » أوضح فيه أن الاسلام يقيم مجتمعاً يبنى على أساس الوحدة ويقوم على مفهوم الأخاء ويركز النظر على الاستجابة لحاجة الفرد الأساسية والاهتمامات المشتركة بينه وبين الآخرين على كل المستويات انطلاقاً من الأسرة الى الجار الى القوم الى الانسانية .

هذا وقد قدمت خلال أعمال الندوة العالمية للشباب الاسلامي عشرة أبحاث باللغة الانجليزية شارك في تقديمها عدد من رجال العلم المسلمين والمنظمات والمؤسسات الاسلامية في السويد والباكستان وتركيا وبريطانيا والفلبين وكشمير ونيروبي وأوغندا والولايات المتحدة الأمريكية . وقد



مجموعة من الشخصيات التي شاركت

تطرقت هذه الأبحاث الى مواضيع ودراسات اسلامية مختلفة منها « القيادة في المجتمع المسلم » ، و « مقارنة الحضارة الاسلامية والحضارة المادية في الغرب » ، و « دور الشباب المسلم » ، و « تفسير الاسلام للتناقض البشري » وما قدمه الاسلام كحل لهذا التناقض في العالم المعاصر ، و « تراث الاسلام في الفنون المرئية » ودور الشباب المسلم المعاصر في حفظ ونشر هذا التراث اضافة الى بحث مشاكل وأوضاع الأقليات المسلمة في العالم ، وكذلك النسق الاسلامي للتطور الحضاري وتحديات الثقافة المعاصرة التي تواجهها الأمة الاسلامية والثقافة الاسلامية .



مدخل قاعة الملك فيصل للمؤتمرات بفندق الكونتننتال بالرياض .

وفي ختام أعمال الندوة وجه المؤتمرون دعوة لقيادات الشباب المسلم في العالم ونخبة طيبة من الكتاب والمفكرين الاسلاميين الى القاء الضوء على القيم والمبادىء الأساسية التي يقوم عليها الاسلام ، والآفاق المستقبلية للعطاء الاسلامي ، والوعي الصحيح للانجاز التاريخي للحضارة الاسلامية . كما تم التوصل الى مجموعة من التوصيات والقرارات كان من أبرزها :

- الاهابة بالأمة الاسلامية أن تعمل جاهدة على بذل التضحيات اللازمة لانقاذ المقدسات الاسلامية الغالية والذود عن حقوق الشعوب الاسلامية السليبة .
- التأكيد على أن الاسلام قوام الأمة ومبرر وجودها .



شاركت في معرض الكتاب الاسلامي العديد من دور النشر في مختلف الدول الاسلامية .



مال الندوة العالمية للشباب الاسلامي .

● مناشدة الأمة الاسلامية ضرورة مواجهة هجمات الأعداء على المسلمين بالتمسك بالاسلام عقيدة وشرعاً والرجوع الى كتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين ولزوم جماعة المسلمين .

● مطالبة المنظمات التي تمتلك أو تدير بيوتاً للشباب المسلم أن تلتقي في « اتحاد عالمي لبيوت الشباب المسلم » ، واصدار دليل ببيوت الشباب المسلم في العالم وتعريف الشباب المسلم بمواقع هذه البيوت والخدمات التي تقدمها .

● التعاون بين الندوة والرئاسة العامة لرعاية لرعاية الشباب ومنظمات الشباب الاسلامي في مختلف أنشطة التوعية الاسلامية .

● اصدار الكتب والنشرات التي تتضمن الفتاوى والحلول المناسبة لمختلف مشاكل الشباب المسلم في ديار الغربة وترجمة هذه الفتاوى الى مختلف اللغات .

● الاهتمام بالجانب الفكري للشباب المسلم بهدف تعميق الولاء للاسلام وحماية الشباب المسلم من هجمات أعداء الاسلام .

● التأكيد على أهمية برامج التدريب القيادي الاسلامي وترقيتها والاسراع في نشر واخراج وترجمة البرامج المطورة باللغات العالمية ولغات الشعوب الاسلامية .

● العناية باقامة دورات تدريبية متخصصة للعناصر القيادية الشبابية المتفوقة وانتداب بعضها الى الدورات التدريبية التي تقدمها المعاهد المتخصصة .

● انشاء مركز عالمي متخصص للتدريب القيادي يعني باعداد البرامج اللازمة لشؤون التدريب القيادي الاسلامي .

● التعاون في الاسراع باتمام مخيم أبها الاسلامي الدائم لخدمة الشباب المسلم في المملكة وفي كل بلد مسلم وعقد المزيد من المخيمات التدريبية والمؤقتة .

● العناية بالمرأة المسلمة في برامج عمل المنظمات الشبابية الاسلامية واعدادها للقيام بواجباتها الاجتماعية في حدود الآداب والقيم والغايات الاسلامية .

● توفير الموارد والوسائل اللازمة لخدمة الفكر والثقافة والتربية الاسلامية وضرورة اقامة مراكز البحث في كافة العلوم خاصة العلوم الانسانية والاجتماعية .

● انشاء المدارس والمعاهد والجامعات النموذجية الاسلامية الأهلية واقامة المؤسسات الخيرية والاوقاف التي تخدمها وتوفر الأموال اللازمة من الهبات وموارد الزكاة لتسييرها خدمة لشباب الأمة والثقافة الاسلامية .

● اقامة اكاديمية عالمية اسلامية مستقلة لخدمة الفكر والثقافة الاسلاميين .

● دعوة الجامعات والجمعيات والمؤسسات العلمية للعمل على اقامة البرامج ووضع الخطط لتكثيف الجهود العلمية الاسلامية وتوفير المنح اللازمة للدراسات والأبحاث لدرجات الماجستير والدكتوراة في مجال أسلمة العلوم الاجتماعية .

● العناية بالدراسات الاحصائية وتوفير المعلومات عن العلماء المسلمين وتخصصاتهم وكذلك المعلومات التقويمية عن الجامعات ومعاهد التعليم في العالم الاسلامي والبلاد العربية .

● انشاء اتحاد عالمي للصحافة الاسلامية ومكاتب فنية لخدمة الصحافة والدوريات الاسلامية وتمثيل مصالحها واقامة وسائل الاتصال بين مؤسساتها .

● بذل الجهود العلمية وعقد الندوات الاسلامية لدراسة النشاطات الحرة والترويحية الموجهة لتنمية المهارات والقدرات عند الشباب بواسطة وسائل الاعلام المتنوعة .

● التزام الاعلام في كافة برامجه اللغة العربية الفصحى لتقويم ألسنة أبناء الأمة وتحسين تعبيرهم والحفاظ على دينهم ووحدتهم .

● اجراء دراسات علمية موضوعية لتقييم الجوانب المختلفة لهذا القرن في مسيرة الأمة الاسلامية وموقعها الحضاري والتعرف الى الجهود الايجابية للحركات والجماعات الاسلامية العاملة نحو اعادة بناء المجتمع الاسلامي وتحريك الطاقات الكامنة في كيان الأمة .

هذا وقد أعرب المسؤولون في الندوة في ختام اجتماعاتهم عن شكر الندوة لحكومة المملكة العربية السعودية وكافة الهيئات والعاملين المخلصين على ما قدموه في سبيل انجاح هذا اللقاء العالمي الاسلامي ●

اعداد : يعقوب سلام / هيئة التحرير

وصف الطبيعة في الشعر الرومانتيكي

بقلم : الدكتور ثابت بداري

الطبيعة من أهم أبواب الشعر الرومانتيكي ، وهو باب قديم من أبواب الشعر ، غير أن الرومانتيكيين برزوا في هذا الباب وعالجوه بطريقة تخالف معالجة القدماء ، فقد وصف الكلاسيكيون الطبيعة وصفاً عاماً لا أثر فيه لشخصية الشاعر وذاته ، وصفوا الطبيعة وصفاً حسياً يعتمد على الأشكال والألوان دون أن يغوصوا فيها ويستكنهوا أسرارها ودون أن يخلعوا عليها الجانب المكاني أو الزمني .

ولكن الرومانتيكيين افتنّوا في وصف الطبيعة متأثرين في ذلك بأستاذهم ورائدهم « جان جاك روسو » الذي رأى في الطبيعة رؤى وقوى لم يدركها سابقوه ، وقد عدها « روسو » أماً رؤوماً يلجأ اليها الانسان في الملمات ، ودعا هذا الفيلسوف دعوته المشهورة وهي « العودة الى الطبيعة » هرباً من آفات المدنية الزائفة . ففي رحاب الطبيعة نجد البراءة والبساطة كما نجد الفتنة والجمال . وقد تابع « روسو » في دعوته هذه تلامذته ومريدوه من الرومانتيكيين في كل مكان .



وعلى رأس الرومانتيكيين الذين افتنّوا في وصف الطبيعة وفتنوا بروعتها ، « وردزورث » و « بيرون » و « شلي » من البريطانيين ، و « لامارتين » و « هيجو » و « دي موسيه » من الفرنسيين ، و « جبران » و « نعيمة » و « أبو ماضي » و « شيبوب » و « مطران » و « الشابي » وغيرهم من الرومانتيكيين العرب .

أما « وردزورث » فهو شاعر الطبيعة غير منازع ، يمتزج بها ، ويستلهمها ، ويتحدث عن علاقة الانسان بها ، ويرى أن الانسان قد أساء الى نفسه عندما ابتعد عن الطبيعة ، ولا سبيل الى استرداد سعادته سوى رجوعه الى أحضانها ، وعودته الى البساطة في العيش والبعد عن التكلف ، وهو متأثر في ذلك ، كما قلنا ، بروسو .

كان « وردزورث » محباً للطبيعة في جميع حالاتها ، وكانت عواطفه الانسانية تتحرك في حضورها بطريقة غريبة ، وكان شعوره بضرورة ملازمتها قوياً فياضاً ، يترك في حضورها العنان لمشاعره فتثير فيه عواطف الرقة والمحبة ، ويرى فيها محركاً للأفكار النقية .

وها هو ذا يحدثنا عن متعته بمرائي الطبيعة الخلابة ومشاهدها الفاتنة وذلك عندما يتجول وحيداً فوق التلال والوديان . يقول من قصيدته « تجولت وحيداً » :

هل يملك شاعر الا أن ينتشي
في صحبة هذا الجمع الطروب ؟
حدقت بعيي - وحدقت - لكني عندئذ ما قدرت
أي ذخر اقتنيت من ذلك المنظر
فكلما استلقيت بعدئذ على أريكتي
خليّ الفؤاد أو متأملا
وثب هذا المنظر الى عين الخيال
التي هي نعمة الوحيد في عزلته
عندئذ يملأ البشر قلبي
فيهتز راقصاً مع أزهار النرجس(١)

لقد عشق « وردزورث » الطبيعة ، ورأى فيها منقذاً للانسان مما لحقه من فساد القرن الثامن عشر وماديته ، فهو يستصرخ في قصيدة له بعنوان « London Melody » يستصرخ الشاعر الكبير « ملتون » ليعود لكي يخلص انجلترا من المادية الكريهة وليعيد اليها الأخلاق والفضائل والحرية والقوة .

وقد عالج شاعرنا الطبيعة بطريقة جديدة اذ تحدث عن علاقة الانسان بها ، وقد سجل في قصيدته « أسرار الخلود » قلقه وهمه وحزنه لاعتقاده أن الطبيعة قد تخلت عنه ، وأنها فقدت بعض سحرها بالنسبة اليه ومن ثم فإن الهامه كاد ينضب ، كما تحدث في القصيدة نفسها عن الطفولة وذكرياتها المحببة(٢) .

وأحب « بيرون » الطبيعة وسعد بها وبخاصة عندما ينفرد بها ، وقد تناولها كما هي لا يخاف قسوتها ومناظرها الموحشة ، ويبدو ذلك واضحاً في وصفه لطبيعة اليونان في قصيدته الكبرى « دون جوان » ، وقد يؤثر الطبيعة على الانسان لما يجده فيها من متعة ، يقول من قصيدته « البحر » :

في الغابات الوعرة لذة
وعلى الشاطىء المنعزل فرحة
وعند البحر العميق ألفة
وفي هديره موسيقى
اني أحب الطبيعة أكثر من الانسان
فتدفق أيها المحيط الأزرق القاتم ، تدفق(٣) .

وقد يكون السبب في حب « بيرون » للطبيعة الغريبة ، في عواصفها الهائجة ، وأمواجها الثائرة ، ورياحها الهوجاء ، أن ذلك التجهم يوافق مزاجه المكتئب المتمرد .

ولعل الشاعر « شلي » يفسّر سر الاعجاب بالتجهم في الطبيعة وذلك حين يقرن الخريف وتساقط أوراق الأشجار بعمر الانسان وانصرام أيامه ، يقول من قصيدته « الى الروح الغربية » :

---

(١) قصة الأدب في العالم ص/٣ ص/٢٤ - ٢٥ . (٢) The Romantic Imagination (٣) أدب الطبيعة للسحرتي ص / ٥١ .

أجعليني أيتها الريح قيثارة لك
كما أنك جعلت الغابة آلة لإنشادك
وما الفرق بيني وبينها
ما دامت أوراق حياتنا متشابهة في السقوط
ولسوف تجدين فيها وفيّ وسيلة للتعبير عن أناشيدك
القوية الصاخبة بأنغام هي أنغام الخريف رغم
رنة الحزن التي فيها .
سيّري أفكاري ، وانشريها في العالم كي توقظ العقول
وتدفعها الى حياة جديدة وطور جديد (٤) ...

الى آخر القصيدة التي يمتزج فيها « شلي » بالطبيعة ويستكنه أسرارها ويبرز عشقه لها .

واذا جئنا الى شعراء الرومانتيكية الفرنسية وجدنا « لامرتين » سابقاً في هذا الباب ، فقد وجد في الطبيعة عزاءه وسلواه وخاصة بعد ما اختطف الموت محبوبته ، ويبرز ذلك واضحاً في قصائده « البحيرة » و « الوحدة » و « العزلة » و « ذكرى » وغيرها من قصائد ديوانه « التأملات » . يقول من قصيدة « البحيرة » بعد أن تذكر أيام حبه :

أيتها البحيرة الصاخبة ، أيتها الصخور الصامتة ، أيتها الغيران الموحشة ، أيتها الغابات المظلمة ، أنتن اللاتي يبقى عليهن الدهر ، فيجدهن بعد البلى ، ويخصبهن بعد المحل ، فاحتفظن من هذه الليلة السعيدة على الأقل بذكراها ، واندمجن على شذا أرجها وطيب رباها(٥) .

الى آخر الأبيات الرائعة التي يبرز فيها علاقة الانسان بالطبيعة ويوازن بينهما مدركاً حقيقة كل منهما .

أما « هيجو » و « دي موسيه » فكانا يجدان في الطبيعة ما يعمق الكآبة ويزيدها ، ويقارنان بينها وبين الانسان ، وذلك على العكس من زميلهما « الفريد دي فيني » الذي لم يتجاوب مع الطبيعة ، ورأى في تجددها وازدهارها تحدياً للانسان ومظهراً من مظاهر ضعفه .

وعندما سرت الروح الرومانتيكية الى أدبنا العربي في العصر الحديث برز من بين شعرائنا من يضارع هؤلاء الغربيين في تشخيص الطبيعة واستكناه أسرارها والامتزاج بها ، وابراز العلاقة بينها وبين الانسان ، ولم ينظروا اليها نظرة القدامى القائمة على تعداد الأشكال والخطوط والألوان. ويقف على رأس الرومانتيكيين العرب « جبران خليل جبران » و « ميخائيل نعيمة » و « ايليا أبو ماضي » من المهجر ، وقد برز عشقهم للطبيعة ونزعتهم التجديدية في النظر اليها في شعرهم ونثرهم جميعاً .

يقول أبو ماضي :

وليك الليل راهبي وشموعي الشهب والأرض كلها محرابي
وكتابي الفضاء أقرأ فيه
صوراً ما قرأتها في كتاب
وصلاتي التي تقول السواقي
وغنائي صوت الصبا في الغاب
ولتكحل يد السماء جفوني
ولتعانق أحلامها أهدابي
وليقبل فم الصباح جبيني
وليعطر أريجه جلبابي

ففي الأبيات امتزاج بالطبيعة وعشق لها ، واستكناه لأسرارها .

سرت الروح الرومانتيكية في كثير من شعراء الأقطار العربية فوصفوا الطبيعة وصفاً فيه روعة وتجديد ، وفيه اصالة وعمق ، وذلك نجده واضحاً في شعر « شوقي » و « العقاد » و « شكري » و « أبي شادي » و «شيبوب » و « الشابي » وغيرهم ممن حاولوا التجديد في الوصف والتصوير بعد توفرهم على قراءة الأدب الرومانتيكي الغربي ، أو بعد اطلاعهم على المترجمات الرومانتيكية والنماذج العربية المجددة ●

د . ثابت بداري/ الرياض

---

(٤) اتجاهات الأدب الانجليزي ص /١٢٥ . (٥) قصائد وأقاصيص من الأدب الفرنسي للزيات ص /٢٥٦ .



البعيد القريب

للشاعر: طاهر زمخشري

يا حطام القيثار ان حبيبي ... نوّر الدرب بالسنا والطيوب
بعد ان اظلمت حياتي وذابت ... صفحة العمر في خضم الخطوب
كان في مطلع النهار شبابي ... ورماه الأسى لليل المشيب
وخطى البدر من وراء الدياجي ... هامست بالصدى النغوم وجيبي
وتهادت برجعه حين اسرى ... ثم ألقى عصاه عبر الغروب
عند باب رتاجه في يميني ... وفؤادي يدف خوف الرقيب
عبر الصمت فوق جسر التمني ... موثق النبض مثخناً بالندوب
تتنزّى به الجراح وتندى ... بالتباريح من لظى مشبوب
وبما يشتهي أرته الاماني ... من خلال الثقوب طيف الحبيب
عبقري الاشعاع ، ضاحي المحيا ... في وشاح من الجمال قشيب
الصباح أسبغ المراح عليه ... وروانا من الورود بطيب
فانتشينا وعاد حرّ هوانا ... لاذع البرد بالسنا المسكوب
من لحاظ تجيد فن التحدي ... وابتسام يجود بالتطريب
قد طوى البعد بيننا فانتهينا ... واسترحنا الى البعيد القريب
بابليّ الالفاظ يستنطق الحرف ... فيسري اعجازه بالعجيب
مستثير الخطى الى السمع همساً ... والصدى منه في حنايا القلوب
وبايقاعه انار الحواشي ... في تضاعيف خافق مكروب
كيف لا يلهب المشاعر وجداً ... وهو اندى من رجع ورد رطيب

* * *

يا حطام القيثار عد للتغنّي ... قد كفى ما لقيت من تعذيب
فترنم ولو بآهة نفس ... ما لها غير شجوها من نصيب
فالصفاء الذي يغرد حولي ... نوّر الدرب بالسنا والطيوب

فلسفة الأعياد في المنهج الاسلامي

بقلم : الأستاذ أحمد محمد جمال



اهتم الاسلام بالأعياد اهتماماً كبيراً، أولاً : لأنها كانت قائمة وموجودة في المجتمعات القديمة ، وثانياً : لأنها ظاهرة اجتماعية ضرورية لكل أمة حتى يكون لها في أيامها أعياد تفرح بها وتستجم من عناء العمل . وأعياد كل أمة ترتبط اما بدينها أو بحوادث مهمة لها أثرها الطيب في تغيير مجرى حياتها ، ولذلك كانت الأعياد في كل أمة مظهراً من مظاهر شخصيتها .

ولكن الاسلام ، لم يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها قبل الاسلام ، بل جعل لهم عيدين مرتبطين بعبادتين من أهم العبادات في الاسلام وهما : « عيد الفطر » بعد أن ينتهي المسلمون من عبادة الله في الصوم ، ويفرحوا بفطرهم ... و « عيد الأضحى » بعد أن يؤدي الحجاج أهم ركن في عبادة الحج – وهو الوقوف بعرفة – ويفرحوا بما أدوا من عبادة في أطهر بقعة وأقدسها .

قال أنس رضي الله عنه : قدم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « ما هذان اليومان » ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم : « لقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر » .

ويندب إحياء ليلتيْ العيديْن بالذكر والتكبير والدعاء والاستغفار والعطاء للبائسين . ويبدأ التكبير في عيد الفطر من رؤية الهلال حتى يغدو الناس الى المصلى . وحتى يصعد الامام على المنبر لقوله تعالى : « **ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ماهداكم ، ولعلكم تشكرون** » .

وصيغة التكبير كما وردت عن عمر وابن مسعود : « الله أكبر الله أكبر ، لا اله الا الله ، والله أكبر ، ولله الحمد » وزاد بعض المذاهب « الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا الى آخر الصيغة المشهورة » .

أما وقتها فمن ارتفاع الشمس قدر ثلاثة أمتار الى الزوال . والأفضل التعجيل بها والمسارعة الى أدائها ، رغبة في اجتماع المسلمين ثم ينصرفون بعد ذلك الى ما يريدون في هذا اليوم العظيم من زيارات تؤكد محبتهم ، وتقوى روابطهم .

ومن السنةاظهار السرور وتبادل الدعاء بالخير في أيام العيد ، كما ينبغي التواصل والتراحم ، والتوسعة على الفقراء ... فقد كان أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك .

وهكذا اهتم الاسلام بفكرة العيد ، هذبها وسما بها ، ولم يرض الاسلام أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها في الجاهلية . وذلك لتكون لهم الشخصية الاسلامية المتميزة . ولم يقبل الاسلام أن تكون الأعياد المسلمة مرتبطة بآثارها الجاهلية ، فشرع للمسلمين عيدين مرتبطين بركنين عظيمين في الاسلام : الحج والصوم . واذا كانت الأمم تفرح في أعيادها فرحاً مطغياً ، وتلعب لعباً عابثاً صاخباً ، وتلهو لهواً فاجراً ، ترتكب فيه الموبقات ، وتنتهك الحرمات ، فان الأمة الاسلامية تفرح بأعيادها فرحاً بريئاً ، يمد النفس بطاقة جديدة تعينها على عمل جديد .

ان اللعب المباح ، واللهو البريء أقرتهما السنة المطهرة في يوم العيد ، رياضة للبدن وترويحاً عن النفس ، تقول عائشة رضي الله عنها فيما رواه أحمد والشيخان : « ان الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في يوم عيد فاطلعت من فوق عاتقه فطأطأ الى منكبيه فجعلت أنظر اليهم من فوق عاتقه حتى شبعت ثم انصرفت » . وكانوا يلعبون الدرق والحراب والرسول الكريم يشجعهم وهو يقول : « دونكم يا بني أرفدة » . ورووا عنها أيضاً أنها قالت : « دخل علينا أبو بكر في يوم عيد . وعندنا جاريتان تذكران يوم بعاث فقال أبو بكر : « أمزمور الشيطان ؟! » قالها ثلاثاً – فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر ان لكل قوم عيداً وان اليوم عيدنا » ولفظ البخاري قالت عائشة : دخل علي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث . وهو اسم حصن للأوس . ويوم بعاث يوم مشهور من أيام

العرب كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج ، فاضطجع صلى الله عليه وسلم ، على الفراش وحوّل وجهه ، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال : مزمارة الشيطان عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ؟ فأقبل عليه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال « دعهما » . فلما غفل غمزتهما فخرجتا .

وتقول عائشة في رواية أخرى إنه ، صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ : « لتعلم يهود المدينة أن في ديننا فسحة ! اني بعثت بحنيفية سمحة » .

قلنا : ان الله عز وجل اختار لأمة محمد ، عليه الصلاة والسلام ، عيدين عظيمين هما عيد الفطر بعد ختام رمضان المبارك ، وهو شهر الصوم والصبر والمعاناة الجسمية والنفسية ، وعيد الأضحى بعد وقفة عرفات . ونضيف هنا : ان الله جعل عيد الفطر فرحة لاظهار السرور والشعور بالشكر لله على نعمة التوفيق لاداء فريضة الصوم ، وكما قرن الله الصوم بعيد الفطر قرن الحج بعيد الأضحى .. ففي الصوم تقشف وحرمان ، وحبس للنفس عما ألفت واعتادت من تناول الطعام والشراب ، فاذا استجابت لأمر الله وأدت فريضة الصوم كاملة فرحت يوم العيد بأداء ركن عظيم من أركان الاسلام ،وبعودة الحرية اليها ، فهو فرح الانتصار على النفس ، وطاعة لله عز وجل بأداء ما شرع ..

وانّ هذا اليوم تسميه الملائكة ، يوم الجائزة ، روى الطبراني عن سعد بن أوس الانصاري رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا كان يوم عيد الفطر ، وقفت الملائكة على أبواب الطريق ، فنادوا : أغدوا يا معشر المسلمين الى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فاذا صلوا نادى مناد : ألا ان ربكم قد غفر لكم ... فارجعوا راشدين الى رحالكم » .

وفي عيد الأضحى ، مشاركة للحجاج في فرحتهم بنعمة الله عليهم ، فقد دعاهم سبحانه لحج بيته الحرام ، فخفوا سراعاً تلبية لهذه الدعوة الكريمة ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « الحجّاج والعُمّار وفد الله ، يعطيهم ما سألوا ، ويستجيب لهم ما دعوا ، ويخلف عليهم ما أنفقوا » . وقال أيضاً : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . وبهذا يتأكد أن فرح المسلمين في أعيادهم فرح بانتصارهم على جواذب الأرض ، وهواتف المادة ، فرح بانتصارهم في المعركة الدائرة بين الخير والشر ، فرح بمبادىء تأخذ مكانها في دنيا الناس ، وبمثل عليا تحيا عليها الجماعة الانسانية ، وتجد البشرية في ظلها الأمن والخير والسلام .

ومن مظاهر الفرح في عيد الفطر ، ادخال السرور على الفقراء والمساكين ، باعطائهم زكاة الفطر ، وسميت بذلك لان سببها الفطر من رمضان ، وقد فرضت في السنة الثانية من الهجرة وهي السنة التي فرض فيها صيام رمضان ، وحكمة مشروعيتها أنها طهرة للصائم من الخلل الذي يطرأ على صيامه ، وطعمة للمساكين ، وادخال للبهجة والسرور عليهم وذلك باغنائهم عن ذل الحاجة والسؤال في يوم تعم الفرحة فيه المجتمع الاسلامي كله ، وهو يوم العيد . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « فرض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، صدقة الفطر ، طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين ، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات » .

فالأعياد أيام فرح عام ، وسرور شامل ، فينبغي أن يعم السرور أبناء المجتمع المسلم على جميع مستوياته ، ولن يفرح المسكين ويسر اذا رأى الموسرين والقادرين يأكلون ألوان الطعام ، ويلبسون أحسن الثياب ، وهو لا يجد قوت يومه في يوم عيد المسلمين ! فاقتضت حكمة الله ورحمته ان يفرض للمسكين في هذا اليوم ما يغنيه عن الحاجة وذل السؤال ، ويشعره بأن المجتمع يحنو عليه ويعنى بأمره ، ولم ينسه في أيام كلها فرح ومرح . ولهذا يقول النبي الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه ، : « أغنوهم في هذا اليوم » . وفي رواية أخرى : « أغنوهم عن طواف هذا اليوم » أي صونوا ماء وجوههم واكفوهم بالزكاة عن الطواف على بيوت الناس يسألونهم حاجتهم من طعام أو شراب أو ثياب ..

وهكذا تصبح الأعياد في نظر الاسلام لحظات قربى الى الله ، ومجالات خير للانسانية وأسباباً تعين على توثيق الصلات بين الناس ، يتجلى فيها التكافل الاجتماعي ، والتعاون في أسمى وأكمل صورة فيها يتبادل الناس التهاني والتزاور ، وفيها يتعاطفون ويتراحمون ، وفيها يتخذون زينتهم ، ويأكلون من طيبات ما رزقهم ربهم ، بذلك يتصل الانسان بربه عن طريق العبادة وعن طريق المحبة والاخاء تطبيقاً للمبدأ الاسلامي الذي ساقه الينا رسولنا الكريم في قوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » . و « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

وجدير بالمسلمين أن يفقهوا معنى الأعياد ، وأن يدركوا أبعادها في المجتمع المؤمن ، وأن يحافظوا على الشخصية الاجتماعية لأمتهم المسلمة ، بأداء ما شرع الله من ألوان القربات والطاعات وبذلك يكونون كما أراد الله لهم خير أمة أخرجت للناس ●

أحمد محمد جمال / مكة المكرمة



الحلي البدوية العربية

عرف الانسان، ولاسيما المرأة، الحلي والجوهرات منذ فجر التاريخ، واعتبرها سمة من سمات الزينة والجمال، ويندر اليوم أن نجد شخصاً يخلو من قطعة حلي يرتديها، حتى ولو كانت تلك الحلية خاتماً بسيطاً، أو ساعة أنيقة يلعب الذوق الجمالي الشخصي دوراً في اختيارها.

والحلي البدوية المعروفة في العالم العربي، أخذت مؤخراً تستأثر باهتمام الدور العالمية للمجوهرات والحلي، لاقتباس سماتها الجمالية للافادة وخطوطها الفنية المميزة، في ابتكار المصوغات الذهبية والفضية النفيسة المرصعة بالماس واللؤلؤ والزمرد والياقوت والفيروز والزبرجد.

قال جبران خليل جبران في معرض حديثه عن الجمال المجرد: «الجمال بستان تزينه الأزهار الى الأبد، وجوقة من الملائكة ترفرف بأجنحتها الى منتهى الدهور، وهو الحياة بعينها سافرة عن وجهها الطاهر النقي». وهذه نظرة فلسفية عميقة للجمال الخالص الذي لا يلجأ من أوتي حظاً منه الى التحلي بالجواهر وما شاكلها، للتعبير عن ذلك الجمال أو لفت الأنظار اليه. ومع ذلك فان الاكتشافات الأثرية تظهر بجلاء ان الانسان قد لبس شكلاً من أشكال الحلي عبر تاريخه الطويل، وهي حقيقة ان دلت على شيء، فانها تدل على رغبة عميقة متأصلة في النفس البشرية نحو التجمل والتزين، وخاصة بين النساء، يستوى في ذلك الحضر والبدو.

وقد عبرت احدى الشاعرات الأندلسيات عن تلك النزعة المتأصلة في النفس نحو التزيّن رغم ما تتمتع به من جمال. بقولها:

أزيّنُ بالعُقُودِ وانّ نَحْرِي
لأزْيَنُ لِلعُقُودِ من العُقُودِ

وقد اقترنت الحلي منذ عصور ما قبل التاريخ بمعتقدات دينية ومخاوف خرافية لا عقلانية من المجهول أو الخفي. لذا فقد تحلى القدماء بالتمائم ظناً منهم أنها تدرأ عنهم سخط الآلهة وسوء الطالع، لاعتقادهم أن التمائم تمتلك قوى سحرية خارقة. ولا يزال حتى اليوم بعض القبائل البدائية في افريقيا وأمريكا اللاتينية يتزين بأنواع شتى من هذه التمائم مما يؤكد بعمق ما تعنيه الحلي للانسان. ومع التقدم الحضاري والفكري اختلفت النظرة الى الحلي والمجوهرات. فعدا عن كونها تبرز الخصائص الجمالية

فهرست المجلد السابع والعشرون
١٣٩٩



عصابة فضية رفيعة الصنع تزين الجبين والرأس .

لدى المرء ، وتضفي عليه الرونق والبهاء ، فانها أيضاً تعتبر ثروة أو كنزاً يدخر لقابل الأيام . ومن هنا نجد تفسيراً لتهافت النساء على اقتناء النفيس من المجوهرات والحلي ، بيد أنه اذا قيس ما تقتنيه المرأة اليوم من المصاغ بما كانت تقتنيه امرأة الأمس ، نجد البون شاسعاً . فقد عنيت المرأة في الماضي عناية شديدة بالحصول على الحلي والجواهر ، يشهد على ذلك الكنوز التي وجدت في مقابر المصريين القدماء والفرس وفي بلاد ما بين النهرين وفي بلاد العرب .

والعرب كغيرهم من الأمم القديمة كَلِفُوا بارتداء الحلي المصنوعة من الذهب ، والفضة ، والزجاج ، والعاج ، واللؤلؤ ، والجزع ، وهو خرز يماني ذو خطوط سود وبيض ، بل والخشب ، والحجارة ، والنسيج ، والأصداف البحرية . فالحَلْي أو الحُلِيّ ، كما ورد في لسان العرب لابن منظور ، هو كل ما تُزَيّن به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة ، وفي ذلك يقول الشاعر :

كأنّها من حُسْنٍ وشَارَه
والحَلْيِ حَلْيِ التّبرِ والحجارَه
مَدْفَعُ مَيْثَاءَ الى قَرارَه

ويقول الجوهري العالم اللغوي المعروف : الحَلْيُ حَلْيُ المرأة ، وجمعه حُلِيّ ، وحِلْيَة السيف جمعها حِلَى .

ويقال حَلِيَت المرأة أو تحلّت أي لبست حَلْياً أو اتخذته ، يقول ذو الرّمّة :

أناةٌ ، كأن المرطَ حينَ تلوثُه
على دِعْصَة غرّاءَ من عُجَم الرَمْل
أسيلةُ مُسْتَنّ الوِشاحَيْن قانِيءٌ
بأطرافها الحِنّاءُ في سَبِطٍ طَفْلِ
وحَلْيُ الشّوى منها اذا حُلّيَت به
على قَصَبات لاشخَاتٍ ولا عُصْلِ
من المُشْرِقات البيضِ في غيرِ مُرْهَة
ذَوات الشّفاهِ اللّعْسِ والأعيُن النّجلِ

يتعذر على الباحث تتبع نماذج الحلي البدوية العربية المعروفة اليوم . والتي أخذت تتلاشى تدريجياً مع الأخذ بأسباب المدنية القائمة اليوم وغزو الحلي والمجوهرات الحديثة . بيد أن هناك من يعتقد أن معظم التصاميم البدوية للحلي تعود الى العصر الحضاري لمدينة « أور » القديمة في جنوب العراق ، والمعروفة اليوم بتل المقيّر . وقد ازدهرت « أور » في الألف الثالث قبل الميلاد ، واشتهرت بصياغة الذهب والفضة اللذين كانا يستخرجان من شمال العراق . كما كانت بلاد فارس في عهد الأكاسرة مصدراً آخر لتصاميم الحلي البدوية ، اذ انتقلت الى بلاد العرب عبر طرق القوافل التجارية ، يشهد على ذلك ما كانت تتزين به ملكات الشرق قديماً كنفرتيتي ، وكليوباترا ، وزنوبيا ، وبلقيس . ومما لا شك فيه أن البدو قد تأثروا بتصاميم الحلي الفارسية تأثراً كبيراً . هذا وكانت روما مصدراً ثالثاً للحلي والتي انعكست خطوطها الفنية على تصاميم الحلي البدوية في بلاد العرب ، فقد دلت التماثيل الرومانية النصفية للجزء العلوي من المرأة



كانت « علية بنت المهدي » أول من ابتكر العصائب لتزيين الجبين .

المزدانة بالحلي، التي عثر عليها في « تدمر » على مدى التشابه بين ما كانت ترتديه النساء في عهد القياصرة وما تتحلى به البدويات اليوم . واذا عدنا الى التاريخ والشعر المدون للعصر الجاهلي ، فاننا نقف على أسماء الحلي التي كانت شائعة في ذلك العصر . فقد روي أن أم الحارث الأعرج من ملوك الغساسنة كانت تكنى بمارية ذات القرطين ، اذ اشتهرت بهما ، وهي التي ورد ذكرها في احدى قصائد حسان بن ثابت في قوله :

أبناءُ جفنـةَ عند قبرِ أبيهـم
قبر ابن مـارية الكريم ِ المفضـل ِ

وقد غلب على العرب الاشارة الى النساء بتسميتهن ذوات العقود والأطواق ، فهذا ابو العتاهية بعد أن حبسه الخليفة هارون الرشيد لتصوفه أمره بالتغزل ، فقـال في زوجتـه :

هي حظّي قـد اقتصرتُ عليْهَا
مِن ذواتِ العُقُـودِ والأطْـوَاقِ

والقرط قطعة من الحلي تعلق في شحمة الأذن ، ويقال للدرة التي تعلق في الأذن قرط ، وللتومة من الفضة قرط . هذا ونجد عنترة بن شداد العبسي من بين شعراء العصر الجاهلي يعنى بذكر الحلي التي كانت تتزين بها ابنة عمه عبلة ، فها هو يقول من قصيدة مطلعها :

أشاقكَ من عبلَ الخيال المُبَهّجُ
فقلبُكَ منـه لاَعِـجٌ يتَوَهّجُ

الى أن يقـول ...

بأرض ٍ تردّى الماءُ من هَضَبَاتِها
فأصْبَحَ فِيها نُبْتُهَا يتَوَهّـجُ
أرَاعي نجومَ الليل ِ وهي كأنّهـا
قَوَاريرُ فيهـا زِئْبَقٌ يتَرَجْرَجُ
وتحتي منهـا سَاعِد فيـه دُمْلُجٌ
مُضِيءٌ وَفَوْقي آخرُ فِيـه دُمْلُجُ

والدملج وجمعها دمالج حلي كالسوار يلبس في العضد .

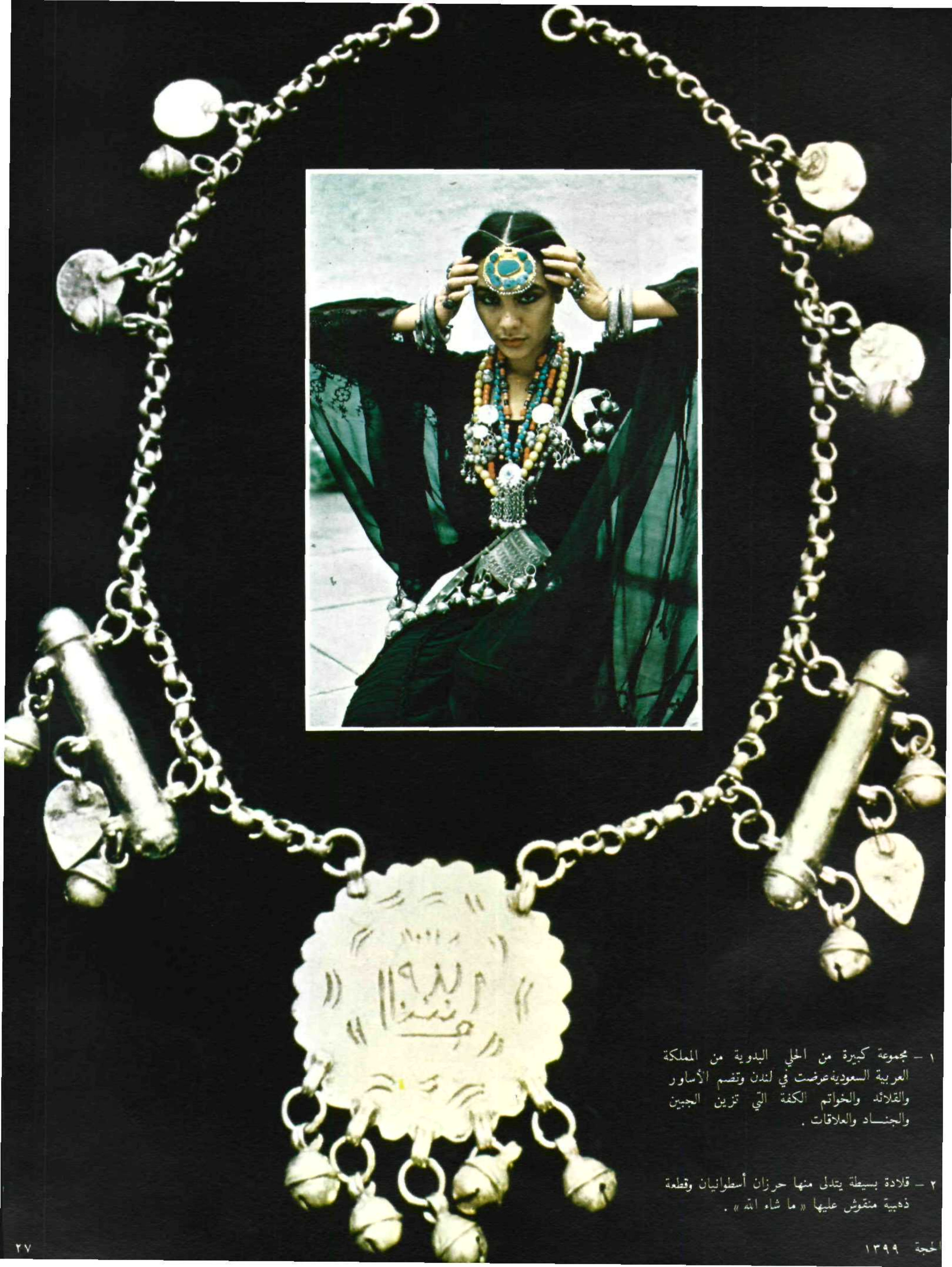
وكانت المرأة الجاهلية ترتدي العقود من الدر ، واللؤلؤ ، والذهب ، والزبرجد ، وعنها أخذته المرأة العربية في العصور التالية ، وتفنن في صنعه الحرفيون في العواصم الاسلامية فيما بعد . ويشير عنترة الى العقد بعد وصف مسهب لعبلة بقوله :

شكَا نَحرُهَا من عقْدِهَا متَظَلّماً
فوَا حَرَبَا من ذلك النّحْرِ والعِقْـدِ

وبعد بزوغ شمس الاسلام وانصهار الحضارات القائمة آنذاك بفضل الفتوحات الاسلامية ، انتقلت فنون الصياغة التخريمية ، والحفر ، والترصيع ، الى بلاد العرب ، مما تجد أثره واضحاً في الحلي البدوية . والاسلام لم ينكر على المرأة المسلمة التزيّن ، ولكنه وضع له حدوداً أهمها الاعتدال وعدم التبرج ، من قوله سبحانه وتعالى : « **فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة** » و « **ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن** » و « **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** » . كما وعد الله المؤمنين في الدار الآخرة بالنعيم المقيم ، فيقول جل جلاله :

« **ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير** » .

ولم تختلف الحلي في عصر الخلفاء الراشدين وبداية العصر الأموي كثيراً عنها في العصر الجاهلي ، الا أنها أخذت تزداد تنوعاً وأشكالاً في أواخر العصر الأموي ؛ ثم بلغت الذروة في العصر العباسي لتواكب ما بلغته الدولة الاسلامية من ازدهار وثراء وترف تحدثت عنها كتـب التاريخ والأدب باسهاب واسع وحسبنا في ذلك كتـاب « الأغاني » وكتاب « ألف ليلة وليلة » . ففي صدر الاسلام نجد المرأة تتزين بالقرط ، والعقد، والقـلادة ،



١ – مجموعة كبيرة من الحلي البدوية من المملكة العربية السعودية عرضت في لندن وتضم الأساور والقلائد والخواتم الكفة التي تزين الجبين والجنـــاد والعلاقات .

٢ – قلادة بسيطة يتدلى منها حرزان أسطوانيان وقطعة ذهبية منقوش عليها « ما شاء الله » .

والوشاح ، والخلخال ، والشكل والشذر ، فهذا « ذو الرمة » يورد أسماء الحلي التي كانت شائعة بين النساء في الحواضر والبوادي في العصر الأموي في كثير من شعره ، فهو يقول :

عَجزَاءُ مَمكُورَةٌ خُمْصَانَةٌ قَلقٌ
عَنهَا الوِشَاحُ وتَمّ الجِسْمُ والقَصَبُ

وقد اشتهر الوشاح الطائفي نسبة الى الطائف بالمملكة العربية السعودية ، اذ يصنع من أدم حمر طائفية ، تخرز وتشد بالحرير ، وتنظم بالجوهر ، ويفصل بينه بالخرز ، وتحتزمه الجارية على ثوب خفيف يمتد بين عاتقها وخصرها .

ثم يقول ذو الرمة في القرط والخلاخيل ، ويشير بصفة خاصة الى المرأة الطويلة العنق لا الوقصاء :

لَمْيَاءُ في شَفَتَيْهَا حُوّةٌ لَعَسٌ
وفي اللثّاتِ وفي أنْيَابِهَا شَنَبُ
كَحْلاءُ في بَرَجٍ صَفْرَاءُ في نَعَجٍ
كَأنّهَا فِضّةٌ قَدْ مَسّهَا ذَهَبُ
والقُرْطُ في حُرّةِ الذّفْرَى مُعَلّقُهُ
تَبَاعَدَ الحَبْلُ مِنْهُ فهو يَضطَرِبُ
صُمتُ الخَلاخِيلِ خَوْدٌ لَيس يُعْجِبُهَا
نَسجُ الأحَادِيثِ بَيْنَ الحَيّ والصّخَبُ

ويقول أيضاً :

كَأنّ بَيْنَ القُرْطِ والخَلْخَالِ
مِنْهَا نَقاً نُطّقَ في رِمَالِ
اذا خَرَجْنَ طَفَلَ الآصالِ
يَرْكُضْنَ رَيْطاً وعِتَاقَ الخَالِ
سَمِعْتَ مِن صَلاَصِلِ الأشْكَالِ
والشّذْرِ والفَرَائِدِ الغَالي

والشكل جمعها أشكال حلية صغيرة تعلقها الجواري في شعورهن من لؤلؤ أو فضة ، والشذر هو اللؤلؤ الصغير ، والفرائد اللآليء الثمينة .

وقد أورد الامام الثعالبي في مؤلفه القيم «كتاب فقه اللغة وسر العربية » أسماء الحلي الشائعة التي كانت تلبسها نساء العرب في عصره ، حيث قال : الشنف والقرط والرعثة للأذن ، والوقف والقُلب والسوار للمعصم ، والدملج للعضد ، والجبيرة للساعد ، والقلادة والمخنقة للعنق ، والمرسلة للصدر ، والخاتم للأصبع ، والخلخال والخدمة للرجل ، والفتخ لأصابع الرجل .

ومع اتساع رقعة الدولة الاسلامية في العصر العباسي ، امتلأت خزائن الدولة بالأموال ، فقد كانت تحمل اليها حمول الذهب والفضة من أطراف الأرض ، فازداد الثراء ، ومعه بلغت الحياة الاجتماعية أوجها . وطبيعي أن ينعكس ذلك الثراء على أنماط الحياة من دور مزخرفة ، وفرش وثيرة ، وثياب أنيقة ، ومطاعم ومشارب من كل لون ، وأدوات زينة بلغ التفنن فيها حداً يفوق الخيال . وبالغ النساء في زينتهن وأناقتهن ، وخاصة في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء وغيرهم ، فكن يرفلن في الثياب الحريرية ويختلن في الحلي والجواهر متخذات منها تيجاناً وأقراطاً وخلاخيل وعقوداً وقلائد ، وقد ينظمنها على شعورهن أو على عصائبهن ، كما فعلت علية بنت المهدي التي كان بها عيب في جبينها ، فاتخذت العصائب المكللة بالجوهر لتستر بها جبينها ، فأحدثت بذلك زياً فريداً قلده نساء عصرها . ولا ريب في أن الحلي التي كانت تتزين بها نساء المدن في ذلك العصر وجدت طريقها الى البوادي على نطاق أضيق .



« الكردلة » عقد ضيق يزين العنق وتتدلى من الطوق حروز مغزلية الشكل تنتهي بالأجراس التقليدية الشائعة في معظم الحلي البدوية .

هذا وكان للعصر المغولي فيما بعد أثره البعيد في ادخال عناصر جديدة الى فن صياغة الحلي ، يبدو ذلك جلياً في القلانس المرصعة بالجواهر ، والأكاليل

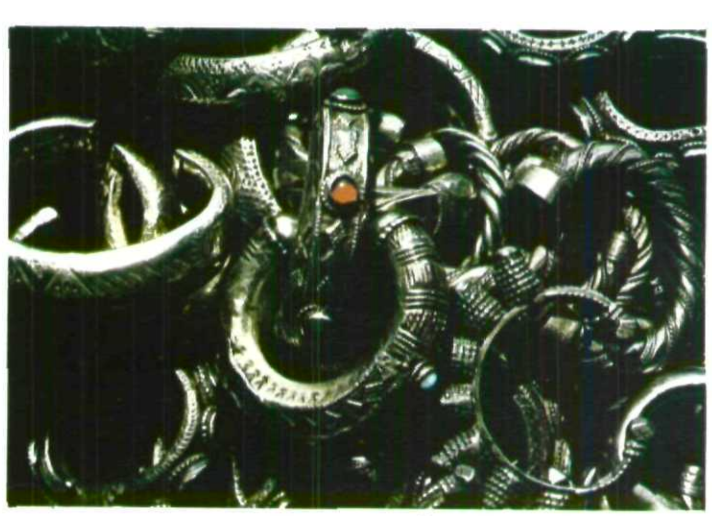


أزرار من الفضة والذهب ذات فصوص زرقاء من الفيروز .

والتيجان البالغة الاتقان التي لا تزال النساء في الأردن وسوريا ولبنان ، وخاصة في جبل العرب ، يرتدينها . ففي الأعراس في المناطق البعيدة عن المدن تشاهد البدويات والقرويات في كرنفال رائع وهن يلبسن حليهن المتنوعة من مفرق الرأس الى أخمص القدم ، كالأقراط الفضية الطويلة التي تضفر بالشعر والعصائب والمناديل التي تتدلى منها الجنيهات الذهبية والقطع النقدية ، والأكاليل ذات الأطواق الملبسة بالفصوص الملونة ، والعقود الضيقة الدقيقة الصنع ، والزنانير الفضية النادرة ، والخلاخيل والحجول والقراميل وغيرها .

والملاحظ أن القاسم المشترك في الحلي البدوية هو أن أطرافها تنتهي بأجراس أو قطع نقدية تعود في أصولها الى العصور الرومانية والبيزنطية والعثمانية . وهذه الحلي المصنوع أكثرها من الفضة عملية في تصميمها ، ولكن معظمها ذات معان رمزية سمتها المميزة البساطة التي لا تخلو أحياناً من غلو في الزخرفة . وليس هناك من تفسير للأجراس (الزرير) التي تتدلى من أطراف الحلي سوى أنها تصدر رنيناً موسيقياً متناغماً يقطع سكون الصحراء ويبدد وحشة المهامه والمفازات التي يقطعها البدو في غدوهم ورواحهم . فالبدوي ، بصورة عامة يلجأ الى الحداء والغناء وهو يطوي البيد من مكان الى آخر ليشعر بالأنس ، فليس غريباً اذن أن تستعيض المرأة البدوية بالأجراس عن الغناء ، لأن رنين الأجراس ووسواس الحلي يؤنس وحشتها ويبدد مخاوفها وهي تجوب الفيافي . ومع أن التقدم الحضاري غير كثيراً من أنماط الحياة البدوية مع برامج توطين البادية التي تنتهجها الحكومات العربية.، الا أن الأجراس حافظت على مكانتها كجزء تقليدي أصيل في الحلي البدوية ، التي أخـذت تتلاشى تدريجياً ، ولم نعد نراها الا نادراً . وهذه الحلي البدوية التي تقع عليها أنظارنا مصادفة ، أو في متاحف التراث الشعبي تختلف أسماؤها من منطقة الى أخرى ، حتى في البلد الواحد . ففي المملكة العربية السعودية نقف على أشكال متعددة من الحلي بأسماء مختلفة تبعاً للمنطقة التي تشيع فيها مثل تلك الحلي . فالرأس يزين عـادة بالقبقب الذي يثبت في وسط الرأس وهو بيضاوي الشكل ذو حلقة في وسطه ، كما يزين الرأس بالعصائب العريضة

المرصعة بالجواهر ، وتشك في غدائر الشعر ريش ذهبية ، وتثبت العصائب بالعلاّقات . والعلاّقة ذات أشكال عديدة يلعب فيها فن الصياغة دوراً كبيراً في نمنمتها وتخريمها ونقشها ، وتتفاوت فيها أطوال السلاسل التي تنتهي بأجراس أو كرات جوفاء على هيئة الجعلان أي الخنافس تتدلى من حروز أسطوانية الشكل في الغالب . والجعلان تعتبر من المقدسات لدى قدماء المصريين لأنها ترمز الى البعث والخلود ، كما استعملها الفنيقيون ولكن فقط للزينة . وعادة تلبس المرأة البدوية علاقة خلف الرأس واثنتين على جانبي الرأس . هذا ويغلب على فصوص العلاقة اللونان الأحمر والأزرق ، والأحمر من العقيق والأزرق من الفيروز . كما تشك المرأة البدوية دبابيس في الشعر يطلق عليها اسم « حلية شعر » تتصل بالعصابة ، وتزين جبينها بالخماسيات الذهبية المرصعة باللؤلؤ من الخليج العربي . أما الأنف فيثقب طرفه ويزين بالخزامة وهي على شكل هلال من الفضة أو الذهب ، وتسمى الصغيرة منها « شاف » والكبيرة منها « فريدة » ويزين الأنف بالزمام أيضاً . كما تثقب أرنبة الأنف بين الفتحتين وتزين بالعرّان .أما الأذن فتحلى بالأقراط والتراكي والكواشي والحلقان والخرصان ، اذ تثقب شحمة الأذن ليتدلى منها الخرص الفضي أو الذهبي المرصع أحياناً بأزرار زينية من اللؤلؤ والفيروز والعقيق . ومن الخرصان ما هو على شكل نصف قمر ومنها ما هو على شكل طوق . والبدويات في عمان يثقبن الأذن في ثلاثة مواضع ليعلقن عليها ثلاثة أنواع من الخرصان الطوقية ، وقد انتقلت هذه الخرصان الى الولايات المتحدة الأمريكية لتصبح « موضة » منتشرة بين الذكور والاناث على حد سواء . هذا وبعض البدويات يتزيّنّ باللّزْم، وهو نادر



نماذج من أساور متعددة الأشكال .

هذه الأيام ، واللّزْم حلية بديعة الشكل تمتد محاذية للذقن ويربط طرفاها خلف الأذنين بحيث يتصل بما تضعه المرأة على رأسها من حلي ويتدلى الجزء الأكبر منه فوق الصدر . أما العنق والنحر والصدر فتزين بالعقود والقلائد ومنها الكردان ، والكرْدلةأو المخنقةوهي عبارة عن طوق مرصع بالفصوص الزرق أو الحمر وتنتهي بأسطوانات مغزلية يتدلى منها « الزرير » . وكثير من القلائدوالعقود التي تلبسها البدويات محلاةبخرز مصنوعمن الكهرمان ،والعنبر، والمرجان ،والعقيق ، والزجاج ،والخزف المزخرف ، وتمتاز بالنقوش البديعة النافرة ،والأسلاك المعدنية المطرزة ،وتتدلى من أطرافهاالقطع النقدية النادرة كالريال السعودي الفضي ، وريال ماريا تريزا والجنيهات الذهبية وغيرها . أما الخصر فتشد عليه البدوية الحزام أو الزنار الذي يزن أحياناً نحو كيلوغرامين ، ويصنع من الذهب أو الفضة ، وتتدلى منه الأجراس لينسجم مع الخلاخيل في اصدار رنات موسيقية متناغمة عند أداء رقصة محلية . وأما الأصابع والمعاصم والأذرع فتزين بأشكال متنوعة من الحلي . فالأصابع لها الخواتم ذات الفصوص المتعددة الألوان ، ومنها المرامي الدقيقة الخالية من الفصوص التي تلبسها المرأة في جميع أصابع اليد منفردة أو مزدوجة أو أكثر من ذلك وتسمى ، أحياناً بأسماء أصابع اليد كالخصور التي تلبس في الخنصر ،ومنها المفارز ذات الفصوص المأخوذة من الفيروز ومن هنا جاء اسمها ، والمطاحن وهي خواتم كبيرة تنتهي قاعدة الواحدة منها بجنيه ذهبي أوقطعة نقدية تقوم مقام الفص ، أوبفصوص من الحجارة الكريمة المعروفة حوله أجراس صغيرة ، ومنها الكفوف وواحدها «كف » اذتلبس المرأة في كل اصبع خاتماً ، وهذه الخواتم تتصل جميعها بقطعة حلي جميلة مستديرة تغطي ظاهر الكف ، وهذه تتصل باسورَة على المعصم .أما المعاصم فلها الأساور التي تختلف أسماؤها تبعاً للشكل الذي تتخذه ، ومنها والبناجر وهي عريضة ثقيلة منقوشة ولها قفل ، والشميلات وتمتاز بنقوشها النافرة البديعة وفصوصها العريضة ، وحب الهيل ، وسفّ الحصير ، وعلى العضد تلبس المرأة الصويرات والمعاضد . أما الساق فله الخلاخيل والحجول وتلبس حول الكاحل كما يلبس بعض نساء البدوالفتخ في أصابع القدم وخاصة الابهام .

تلك هي الحُلي البدوية التي راحت بروعتها وبساطتها تشق طريقها الى دور الأزياء والمجوهرات الحديثة لابتكار الحلي العصرية الجذابة ●

تصوير : « ايان يومانز » سليمان نصر الله/هيئة التحرير



الوداع

للشاعر: فضل العماري

تتأوهين وتشتكين وداعي — وبعادنا يا ليته لـدواع

أنت التي أبعدتني مزهوة — هيهات يخدعني دلال أفاعي

أحلام أمسي في السراب لها ندى — وغيوم يومي تلتهي بصراعي

خفقان قلبي كان منك محذري — لكنني عميان لست بواعي

لما خطرت تناهبت نفسي الرؤى — وتراقصت في الحس نغمة راع

ولمست فيك نعومة مثل الضحى — وعرفت أنك نجمتي وشراعي

فلعبت بالآمال أنهل ريقها — ومضيت ألهو تحت كل شعاع

موهت حبك كي أظن شحوبه — أغصان زيتون تهز ذراعي

وسقيتني نغماً يجول بخاطري — صيحات ناي في أكف ضياعي

ورسمت صورة عاشق بخياله — طاف البقاع ولم يزل بالقاع

الآن ألقت ناقتي ترحالها — وكبا جوادي لم يعد بالساعي

أشجان نفسي في الفؤاد نحيبها — وخرير دمعي لذتي وقناعي

فإلى متى هذا التأسف والبكا — يا أنت يا شبح الأسى الخداع

في أي منزلة يكون لك الهوى — والخنجر المسموم في أضلاعي

لا لا فمحرابي بدونك عامر — اني رضيت بغصة الملتاع

ورضيت أن أحيا وأشباح الكرى — فهي التي أبداً تود سماعي

وهي التي ما فارقتني لحظة — أو أنكرتني في سنين رضاعي

الإفـراط والتفريط ، والكيف والكم في التغذية ٣

بقلم : الدكتور محمد سعيد الحفار

نعني بسوء التغذية ، تغـذية منحرفة عن السواء ، ولها عدة حالات أهمها تلك التي يكون فيها اضطراب غذائي — Dietary .

وانحراف التغذية عن السواء يمكن ان يكون في اتجاه الأفراط في التغذية — Over Nutrition » او التفريـط « نقص التغذية — Under Nutrition » قد تسمى الاخيرة المسْغَبَة، وفي الحـالة والاخيرة هذه يشكو المرء من عـوز في مختلف الغذيّات ، ويتجلى ذلك بالجوع الذي لا يسكنه الطعام المتناول لانه لا يفي بالمتطلبات وقد تكون المسغبة خاصة مقتصرة على بعض الغذيات — Nutrients وبذلك تكون غير وافية تماماً بما يتطلبه الاستقلاب السوي ، ولكن الطعام المتناول يكون كافيـاً من حيث الكم لتسكين الجوع ، وأهم حالات المسغبة سوء التغذية البروتيني ، وهو شديد الانتشار في عصرنا الحاضر ، وله اشكال قصوى اهمها القشر السعلي ، وتقدر نسبة حدوث هذا الداء في العالم بعدة ملايين من الوقعات الجديدة كل سنة .

فالمقصود بسوء التغذية اذن هو زيادة الطعام او نقصانه ، فالسمنة مثلاً تشكل خطراً على القلب والاوعية الدموية ، وتسبب امراض التمثيل الغذائي ، ويشكل نقصان التغذية خطراً كبيراً على الاطفال والرضّع . ولقد اظهرت البحوث التي قامت بها هيئة التغذية ان سوء التغذية لدى الرضّع خاصة قد ينجم عنه تخلف عقلي وجسماني دائم .

ولا بد للانسان من الالتجـاء الى الطبيعة للحصول على احتياجاته الحيوية من غذاء وهواء . فعندما تقصر الطبيعة في تقديم هذه الاحتياجات بالكامل . فان ذلك يؤدي الى نوعين اساسيين من سوء التغذية ، همـا :

نقص في كمية الغذاء : اي عندمـا تكون كمية الغذاء غير كافية لمقـابلة احتياجات الكائن الحي ، فان ذلك يؤدي الى التفريط اي نقص التغذية . في الوحدات الحرارية ، ويكون هذا النقص مرافقـاً بأعراض سريرية تتجلى بالهزال العـام ، وتوقف النمو ، وضمور العضلات ، ونقص في الوزن ، وقد يؤدي في النهاية الى الموت . ويعتبر سوء التغذية هذا مزمناً في المجموعات

يصيب سوء التغذية الشديد، ما لا يقل عن عشرة ملايين طفل دون سن الخمس سنوات ، بالاضافة الى اكثر من تسعين مليون طفل آخر يعانون من سوء تغذية اقل شدة ، واتضح ان التغذية الجيدة تتطلبها كافة مراحل النمو التي يمر بها الانسان ، لكن سوء التغذية يعتبر خطراً داهماً يهدد الاطفال في فترة الفطام ، ويتعرض الطفل خاصة لسوء التغذية نتيجة نقص البروتين بصفة خاصة بين العام الاول من عمره وبين سن الخمس او الست سنوات ، وقد يموت في هذه السن اذا استمر تعرضه لسوء التغذية البروتيني ، ذلك ان سوء التغذية المذكور يزيد من تعرض الطفل للاصابة بالامراض المعدية ، والحميات بوجه خاص وقد ثبت بالفعل ان ما بين ٥٠ و ٧٠ ٪ من وفيات الاطفال الرضّع والاطفال الصغار يعود لعدم تحمل اجسامهم لمعقد مرضي هو محصلة حدين « سوء التغذية والامراض المعدية » اما الاطفال الآخرون من هذه الفئة فهم من الذين يشكون من سوء التغذية ، حيث انهم يعيشون في حالة من الضعف لدرجة العجز الجسماني ، ويصبحون فيما بعد عالة على المجتمع لانهم حتماً يبقون قاصرين جسمياً وعقلياً . وتدل الاحصائيات على ان مئات الالوف من الاطفال يصابون كل عام بالعمى نتيجة جفاف مقلة العين بسبب نقص فيتامين (أ) الذي يكثر في الخضار ذات الاوراق غزيرة الكلوروفيل كما يكثر في الجزر ، وينتشر هذا المرض على نطاق واسع في اطفال جنوب شرقي آسيا ، ويعالج هؤلاء الاطفال بمجموعات كبيرة من فيتامين (أ) يعطونها دورياً ، وتوزع على الرضّع والاطفال .



الفقيرة من السكان ، وفي فترات المجاعات التي تعقب الحروب ، والكوارث الطبيعية .

او قد يتخذ سوء التغذية شكلاً آخر ولو كان من نوع النقص الغذائي ، اذ قد يكون نقصاً في الكيف الغذائي ، او يكون الغذاء غنياً لكنه يفتقر الى عدد من العناصر الغذائية الضرورية كالبروتينات والحموض الدسمة ، والفيتامينات ، والاملاح الغذائية .. الخ . وأشدها خطورة هو سوء التغذية البروتيني الذي يؤدي الى حدوث امراض تصحب بخمول واسهال وفقدان لون الجلد وقد ينتهي بالموت .

وتتجلى خطورة سوء التغذية الناتجة عن الكيف الغذائي المتصف بنقص البروتين في فترات النمو ، والحمل والرضاعة ومرحلة الطفولة ، ولا يقتصر دور سوء التغذية هذا على الناحية الحيوية فقط وانما تؤثر ايضاً على مسار النمو والتطور الطبيعي الذي ستتبعه اجسام الناس ، كما ان كلاً من التكوين العاطفي والسلوك العقلي وقابلية الفهم والتعلم قد تتأثر بكيف الوجبة الغذائية ، وهي جملة نتائج بحوث سأعرض خلاصتها فيما بعد . وتدل الدراسات التي تمت خلال ربع القرن الاخير على عديد من الامور الجوهرية التي كانت خفية مستترة ولا بد في هذا المجال من ذكر بعضها بغية اعطاء القارىء صورة عن عمق ابعاد مشكلة سوء التغذية على الانسان لا حيث التشكل فحسب ، بل من الناحية السلوكية والعاطفية والعقلية ايضاً .

ومن أمراض سوء التغذية الناتجة عن الكيف في الغذاء، امراض فقر الدم الغذائية ، لا سيما التي تحدث بسبب نقص الحديد وهي امراض تصيب النساء في سن الانجاب بشكل خاص ، وهنالك ما لا يقل عن سبعمائة مليون شخص أي حوالي خُمْس سكان العالم ، يعانون من نقص الحديد الشديد بدرجة تؤثر على طاقاتهم الانتاجية . وتعالج مثل هذه الحالات بتوزيع مركبات خاصة تحتوي على حديد قابل للتمثل ، تعطى بانتظام للحوامل وللمرضعات وللاطفال .

أمراض الدرقية : وهي تصيب نسبة عالية من الناس نتيجة نقصان مقدار اليود في الغذاء ، فينتج عن ذلك ما يسمى بالتضخم الدرقي المعروف طبياً باسم « السلعة البسيطة » التي قد تؤدي الى تلبد وبطء في التفكير ، وفي التخلف العقلي تبعاً لكون الاصابة قبل البلوغ او بعده ، وقد تصل نسبة الاصابة في العالم بهذا المرض الناتجة عن سوء التغذية الى ٥٠ في المائة من سكان العالم ، وتتم المعالجة بتناول ملح طعام مشبع باليود ، وبنوع خاص من الفيتامينات المتوازية او بحقن المصاب بزيت مشبع باليود .

أمراض الكساح : وهي تنتج عن نقص فيتامين « د » في الرضع وصغار الاطفال . ويتميز بتشوه العظام والتوائها ، وعلى الرغم من ان نور الشمس جزء من العلاج فان المرض منتشر في بلاد مشمسة ، ويعود ذلك الى اسباب اجتماعية وثقافية كالتعود على حفظ الطفل في غرف بعيدة عن الشمس .

السمنة : وهي من امراض سوء التغذية ، فكثير هم الناس الذين يأكلون اكثر مما ينبغي ويمارسون أقل بكثير مما ينبغي لهم من الرياضة البدنية ، ويصابون بالسمنة التي تشكل عاملاً من عوامل الاصابة الشديدة بالبول السكري ، كما تشجع امراض القلب والاوعية الدموية فيكون مثله كمثل الدابة حتفها في سمنها .

اصابة الطفل بسوء التغذية نتيجة احد امرين : اولهما : ان الجنين في بطن امه يتطلب مدداً من كافة مقومات الحياة يستمدها من امه وعلى هذا وجبت العناية بالامهات الحوامل باعطائهن وجبات غذائية متوازنة تحتوي على المقادير الكافية من البروتينات والدسم والفيتامينات والاملاح المعدنية ، وهي كلها ضرورية لتغذية جنينها خلال الحمل ، وضرورية لرضيعها بعد الولادة .

ثانيهما : تغذية الطفل بعد الولادة ، وهنا نشير الى ان لبن الثدي افضل طعام وأوفاه بالشروط الصحية بالنسبة للطفل الرضيع حتى الشهر السادس ، ذلك ان الرضاعة من الثدي تحمي الرضيع من الامراض المعدية وتساعد في تنميته العقلية وبدءاً من الشهر الخامس او السادس لا يعتبر لبن الثدي كافياً للنمو النموذجي ، اذ يتطلب النمو اضافة اغذية ملائمة الى وجبة الطفل بالتدريج ، كاعطائه صفار بيضة مع الحليب خلال ثلاثة شهور . وبدءاً من الشهر التاسع يعطى بيضة كاملة مع وجبة الحليب لتصبح الوجبة كاملة . وجدير بالذكر ان هذا الطفل يجب ان يعطى خلال ذلك وجبة خضار مسلوقة محضرة بشكل خاص ، او قليلاً من عصير الفاكهة ، اما الأم المرضع فيجب بعد انتهاء مرحلة الارضاع ، ان يعنى بها لمدة اشهر بوجبات غذائية متوازنة لتستعيد حالتها الغذائية . ومن هنا كان لا بد من انقضاء فترة زمنية كافية يقدرها الخبراء بين ثلاث وخمس سنوات بين مرات الحمل المتتالية ، لان ذلك مفيد لصحة الأم وللجنين الجديد الذي في دمها المدد اللازم لنموه بشكل سوي .

وخلاصة القول ، إن سوء التغذية هو اخطر ما يكون على الاطفال من حيث نمو اجسامهم وتطور عقولهم ، ويعتبر نمو الاطفال معياراً لإيضاح الفروق بين مختلف البلدان ، او بين فئات البلد الواحد ، ولقد اتضح ان اطفال الامهات اللواتي عانين من سوء التغذية خلال فترة الحمل يكونون عند الولادة اصغر حجماً من اطفال الامهات اللواتي تمتعن بتغذية كافية خلال ذلك .

كما ان وزن الطفل المنخفض عند الولادة يرتبط ارتباطاً مباشراً بعدم قدرته على البقاء لسنوات طويلة ، ولذلك علاقة بالنسبة العالية في وفيات الاطفال صغار السن . واتضح للباحثين ان الشهور الاولى من العمر لا توضح الفروق بين الاطفال المنحدرين من امهات يشكون من سوء التغذية ومن أمهات عكس ذلك ، لكن الفروق تتجلى بعد ستة شهور من الولادة . اذ يكاد الطفل الذي ولد مصاباً بسوء التغذية يتوقف نموه في عامه الثاني ولذلك لا بد بدءاً من الشهر السادس من اضافة اطعمة تكميلية الى وجبة الطفل كما اشرنا الى ذلك آنفاً .

ويعتقد الاخصائيون في مجال التغذية أن من أقوى الأدلة على حجم مشاكل التغذية في اي بلد من البلدان هو معدل الامراض النوعية التي ترجع الى نقص التغذية او الى سوء التغذية بوجه عام ، فقد اتضح انه في بعض البلاد لا يصل ٥٠ ٪ من مجموع الاطفال المولودين فيها احياء الى سن الخمس سنوات ، فسوء التغذية من هذه الزاوية كما اشرنا في مقال سابق يسبب خسارة قومية تصيب الأمة في حياة اطفالها ، لا تقدر بثمن ، وبكل أسف تتصف معظم البلدان التي تظهر فيها العاقبة الوخيمة لسوء التغذية بافتقارها الى الخدمات الصحية المتطورة ●

د . محمد سعيد الحفار / دمشق

أخبار الكتب

● يعكف الدكتور حمدي السّكوت والمستشرق الدكتور مارسدن جونز من أساتذة الجامعة الأمريكية بالقاهرة على اصدار سلسلة من الكتب الببليوغرافية التي تتناول أقطاب الأدب المعاصر ، وكان الكتاب الأول من هذه السلسلة خاصاً بالدكتور طه حسين ، ويليه كتابان ما زالا تحت الطبع ، واحد عن عباس محمود العقاد والآخر عن ابراهيم عبد القادر المازني .

● « الموسوعة العربية الميسّرة » التي صدرت طبعتها الأولى باشراف الدكتور الراحل ، شفيق غربال ، ثم صدرت منها طبعة ثانية بطريق التصوير « الأوفست » تجرى الآن مراجعتها وتنقيح موضوعاتها توطئة لاصدار طبعة جديدة تكون أوفى وأشمل من سابقتيها .

● صدر الجزء الثاني من « ديوان العواد » للشاعر السعودي المعروف محمد حسن عوّاد . وان اجتماع شعر الشاعر بين دفتي كتاب واحد متعدد الأجزاء قد جلى صورة الشاعر في نظر الدارسين ، وأعانهم على متابعة مسيرته الشعرية وتطور الشاعرية عنده .

● يصدر قريباً للشاعر الدكتور محمد رجب البيومي ديوان كامل في رثاء المرحومة زوجته . وهو ثالث شاعر معاصر يرثي زوجته بديوان كامل بعد المرحوم عبد الرحمن صدقي والمرحوم عزيز أباظة .

● صدرت في بغداد عن وزارة الثقافة « المجموعة الكاملة لأشعار أحمد الصافي النجفي غير المنشورة » بتحقيق وتقديم الدكتور جلال الخياط . وقد نفدت هذه المجموعة بمجرد صدورها .

● آخر ما صدر من شعر مهجري في ديار الهجرة الجنوبية ديوان « ألوان وألحان » للشاعر زكي قنصل ، وقد طبع في دار ميسلون في بوانس ايرس ، وديوان « أمواج وصخور » للشاعر المهجري ميشال مغربي وقد طبع في مطبعة صفدي في سان باولو وديوان « ألحان الغروب » للشاعر الياس قنصل وقد نشره اتحاد الكتاب العرب بدمشق . ومن الكتب المهجرية الجديدة كتاب « رجل من لبنان » وهو سيرة ذاتية للمهاجر العربي حنّا دعبول نشرها باللغة الانكليزية وترجمها الى العربية الأستاذ فيليب لويس داغر ، وصدرت الطبعة العربية عن دار مجلة المراحل البرازيلية .

● العلامة الراحل خير الدين الزركلي الذي عرف بكتابه الموسوعي الضخم « الأعلام » وبشعره العربي العالي الطراز ، أقيمت لتأبينه حفلة كبرى في النادي العربي في دمشق ، وجمعت كلمات التأبين ودراسات الباحثين في كتاب أصدره النادي بعنوان « علم الأعلام خير الدين الزركلي » .

● ومن الذين أسهموا في هذا الكتاب التذكاري شفيق جبري وأكرم زعيتر والدكتور عدنان الخطيب والدكتور شكري فيصل والدكتور عمر الدقاق والدكتور شاكر مصطفى والدكتور بكري شيخ أمين والأستاذ سليم الزركلي وغيرهم .

● في سلسلة « المكتبة الصغيرة » التي يصدرها الأديب السعودي الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، صدرت حلقتان في السير والتراجم هما « الامام الشافعي الفقيه الأديب » للأستاذ أحمد العربي و « الحسن بن أسد الفارقي » للأستاذ هلال ناجي .

● « عباس العقاد رجل الصحافة ، رجل السياسة » كتاب جديد للأستاذ راسم محمد الجمال في سلسلة « اقرأ » لدار المعارف ، وفيه درس المؤلف الجانب الصحفي والسياسي من حياة العقاد من واقع كتاباته في الصحف القديمة .

● ظهرت طبعة ثانية من كتاب « أحمد رامي قصة شاعر وأغنية » للأديبة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد في سلسلة « اقرأ » لدار المعارف .

● أصدر الأديب العراقي الأستاذ جعفر الخليلي كتاباً من أربعة أجزاء ضخام عنوانه « هكذا عرفتهم » سرد فيه ذكرياته عن أعلام عصره الذين اتصل بهم عن قرب ، أعدّ حلقات جديدة من هذا الكتاب تتناول ذكرياته عن أصدقائه الذين رحلوا في بضعة الأعوام الأخيرة وهم ، الشاعر الياس فرحات ، والشاعر جورج صيدح ، والشاعر أحمد الصافي النجفي ، والأديب سامي الكيالي ومحمد علي الطاهر وغيرهم .

● أصدر الأديب العراقي الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين دراسة عن الشاعر المهجري فيليب لطف الله وعن شعره ومآتيه الانسانية . وقد صدر الكتاب عن « مؤسسة بلادي للطباعة والنشر » في سان باولو .

● أصدر الأستاذ محمد محمد الجوادي كتاباً عنوانه « الدكتور محمد كامل حسين عالماً ومفكراً وأديباً » وقد نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب . وتصدر قريباً للأستاذ أميل توفيق دراسة كبيرة عن المرحوم الدكتور محمد كامل حسين . ومما يذكر أن الأستاذين الجوادي وأميل توفيق نالا جائزة مجمع اللغة العربية عن دراستيهما المذكورتين .

● « الشعلة الزرقاء : رسائل جبران خليل جبران الى مي زيادة » عنوان كتاب ضخم جمع فرائده وحققها وعلق عليها كل من الأديبة سامي الحفار الكزبري والدكتور سهيل بشروتي ونشرته وزارة الثقافة في دمشق .

ويمثل هذا الكتاب مجموعة شبه كاملة للرسائل وبطاقات البريد والبرقيات التي أرسلها الأديب المهجري جبران خليل جبران الى الأديبة مي ، ويكشف هذا الكتاب عن كثير من آراء جبران غير المنشورة وعن دقائق حياته في المهجر ، وفيه مجموعة من رسوم جبران التي أهداها الى مي .

والكتاب وثيقة ثمينة استطاع الباحثان اللذان أصدراها أن يجمعا فرائدها من مخلفات مي القديمة التي تناثرت بين الأيدي وتعرضت للضياع النهائي .

● « دراسات في النقد الأدبي » كتاب جديد ضخم صدر أخيراً للدكتور كامل السوافيري عن مكتبة الوعي العربي . والكتاب يتناول نظريات النقد في نصفه الأول ، ويجرى تطبيقات عليها في نصفه الثاني . وللكاتب آراء كثيرة خالف فيها ما ذهب اليه أساتذة النقد كالعقاد ومندور وقطب والنويهي ، مما يضفي على الكتاب حيوية خاصة .

ويصدر للدكتور السوافيري قريباً كتاب جديد عنوانه « الأدب العربي المعاصر في فلسطين »

● تفسير جديد لكتاب الله العزيز ، يعكف على وضعه العلامة الشيخ ابراهيم القطان قاضي القضاة في الأردن وعضو مجمعي اللغة العربية في القاهرة وعمان .

● صدرت للدكتور حسن مجيب المصري دراسة عنوانها « الأدب التركي » وقد صدرت عن دار المعارف في سلسلة « كتابك » .

اعتذار

تعتذر المجلة لقرائها الكرام عن الخطأ الذي ورد في ص ٦ ، وص ٢٧ من عدد ذي القعدة فقد ورد اسم « نعيم وهلوي » خطأ والصواب « نديم ودهلوي » كما نقدم اعتذارنا أيضاً للسيدين المذكورين .

ثقافة الطفل العربي

يقدم هذا الكتاب وجهة نظر أحد المهتمين المتخصصين في ثقافة الطفل ، فمؤلفه الأستاذ جمال أبو رية ، خبير اتحاد الاذاعات العربية ، ومدير آداب الأطفال بدار المعارف ، وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلـوم الاجتماعية .

ولقد صدر الكتاب عن دار المعارف بالقاهرة ضمن سلسلة «كتابك» الأسبوعية ، وجاء صدوره مع حلول السنة الدولية للطفل التي يحتفل بها العالم هذا العام «١٩٧٩» بمناسبة مرور عشرين عاماً على الاعلان العالمي لحقوق الطفل الصادر عن الأمـم المتحدة في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٩ .

ويطرح الكتاب قضية ثقافة أطفالنا العرب الذين يشكلون عماد المستقبل وأمله . ويجدر بنا قبل جولتنا مع هذا الموضوع . أن نشير الى أهمية الطفولة ، فهذه المرحلة أهم المراحل التي تمر بها حياة الانسان ، اذ تكون قابليته واستعداداته شديدة التأثر بكافة العوامل المحيطة به سواء كانت ظروفاً روحيـة أو مادية .

والثابت علمياً أن الطفل حتى سن السادسة يكون أكثر استعداداً وميلاً للتقبل والتعلم والابتكار ، فهو يرى ، ويسمع ، ويتذوق ، ويفهم على قدر مستواه العقلي والادراكي ، فيحاول اكتشاف العالم الذي يعيش فيه من خلال الأدوات والوسائل التي تتوفر له ، وتكون في مستوى تفكيره .

ومن هنا ، فان مرحلة الطفولة ليست أهم مراحل حياة الانسان فحسب ، بل أخطرها على الاطلاق بوصفها تكـوّن شخصيته ، فتترك بصمات واضحة عليها طوال حيـاته .

وكان المؤلف حريصاً في بداية كتابه على تعريف هذه المرحلة بقوله : « الطفولة هي الفترة من العمر التي تبدأ من لحظة مولد الكائن الحي ، والتي تستمر حتى يصبح ناضجاً . ويمكـن تحديدها بأنها هي الفترة التي يكون فيها هذا المخلوق محتاجاً الى عائل » .

ويشير الى تقسيم العلماء لحيـاة الانسان الى مرحلتين :

أولاهما : مرحلة الطفولة ، وتبدأ من مولد الانسان حتى يبلغ سن الثامنة عشر أو العشرين (حسب البيئـة والمجتمع).

ثانيتهما : مرحلة الرجولة أو الأنوثة ، وهي التي تمتد من بعد ذلك ، وتستمر حتى نهاية العمر .

وان كان هناك من يفتقد في هـذا التقسيم مرحلة يسميها العامة مرحلة المراهقة والشباب . فان العلماء يذيبون أولها في مرحلة الطفولة ، وآخرها في مرحلة الرجولة أو الأنـوثة .

ويقسم العلماء مرحلة الطفولة الى ثلاث فترات :

- **فترة الطفولة المبكرة** : من المولد حتى سن السادسة .
- **فترة الطفولة الوسطى** : مـن السادسة حتى الثانية عشرة .
- **فترة الطفولة المتأخرة** : وتشمل فترات البلوغ والمراهقة ومطلـع الشباب ، وتمتد من الثانية عشرة حتى العشرين .

ولكل من هذه الفترات خصائصها وظواهر تغيراتها الجسمية والنفسية مما يلزم أن يراعى حسابه في كل شأن من شئون التربية والتعليم والصحة والثقافة .

ولعلنا نتساءل : ما مفهوم الثقافة ؟..

يوضح المؤلف مفهومها : « الثقافة هي الامتاع العقلي والوجداني لابداع المعرفة والفن . والثقافة غذاء وجداني وامتاع فكري محبب يسعى اليه الانسان سعياً ، ولا يتلقاه فرضاً أو تلقيناً ، ولا يساق اليه قسراً أو كرهاً . ان الثقافة بكل ألوانها هي امتاع يعلو على حاجات الانسان الملحة التي تكون لازمة ليبقى على قيد الحياة ، كل كائن

تأليف الأستاذ جمال أبو رية - عرض وتعليق : الأستاذ عبد الرحمن شلش

حي تتوافر له حاجات الحياة الملحة ، لكن ليس كل كائن مثقفاً أو آخذاً بالثقافة. والثقافة بنت البيئة ، ولها مذاقها الخاص في كل بيئة من البيئات ، فان تجردت من بيئتها فقدت طعمها ورائحتها . أما العلم فلا وطن له . والفرق واضح بين التعليم والثقافة ، فالتعليم هو الدراسة المجـردة للأدب أو العلم أو الفن . وهو زاد العقل . أما الثقافة فهي الامتاع الفكري والوجداني لإبداع المعـرفة والفن » .

ولهذا تختلف الثقافة من بيئة الى أخرى باعتبار الثقافة أسلوباً لسلوك معين يسلكه كل مجتمع من المجتمعات حسب رصيده من التجارب والمعارف والتراث .

ويفرّق بين الثقافة وبين المعرفة بقوله عن الثانية أنها : « القدرة على الملاحظة والمقارنة والتفكير والكشف عن ظواهـر الطبيعة والكون ، وعن ظواهر الحيـاة الاجتماعية ، أو هي القدرة على التفكير بوجه عـام » .

الوسائط الفنية

ترى ، ما هي الوسائط الثقافية التي تخص الأطفال ؟ انها كثيرة ومتكاملة ، فهي تشمل : الكتاب ، والصحيفة ، والمجلة ، والاذاعة المسموعة والمرئية « الراديو والتليفزيون » ، والمسرح ، والسينما ، والمعارض ، والمتاحف ، وغير ذلك من الوسائط التي تنمي ثقافة الطفل .

وتدور معظم صفحات الكتاب حول هذه الوسائط الثقافية التي تقوم عليها ثقافة الطفل في مختلف مجالاتها .

ففي مجال الكتاب الثقافي للطفل يثير مسألة افتقار مكتبتنا العربية اليه بقوله : « لا تزال مكتبة الطفل الثقافية في عالمنا العربي قاصرة تفتقر الى الكثير مـن الموضوعات الثقافية والمداخل التي يجب أن تصدر من خلالها لتشبع حاجة الطفل العربي الحديث الى الألوان الجديدة التي تطل على العلم ، والفن وابداعه » .

ويضيف قائلاً : « لا تكاد توجد قواميس أو موسوعات عربية للطفل » .

ويدعو الى استكمال مداخل وأبواب مكتبة الطفل العربي باصدار مجموعات جديدة يراعى في تقديمها الأشكال الفنية الجذابة كتلك التي تصدر في السنوات الأخيرة للأطفال في سائر الدول الاجنبية من خلال البحث عن الشكل والمضمون الأفضل لكتـاب طفلنا .

ويقترح اصدار قانون عربي موحد يلزم كل دار للنشر في العالم العربي أن تخصص نسبة الثلث من رأسمالها لكتب ثقافية ممتـازة ومتميزة للأطفـال .

وفي مجال صحافة الطفل يلقي الضوء على نشأتها في العالم العربي ، ويشير الى عديد من المجلات مثل « الأطفـال الاسبوعية المصورة » و « مسامرات الأطفال المصورة » و « ولدي » و « سـندباد » و « بابا شارو » و « سمير » و « ميكي » و « كروان » في مصر ، ومعظمها توقف ، و « عرفان » و « شهلول » في تونس ، و « الصبيان » في السودان ، و « أسامة » و « رافع » في سوريا ، و « سعد » في الكويت ، و « المزمار » و « مجلتي » في العراق ، و « سوبرمان » و « الوطواط » و « لولو » في لبنان ، والثلاث الأواخر ترجمات لمجلات أجنبية تصدر عن دار نشر أمريكية .

وينبه محذراً من نقل ما هو موجود في البيئات الأجنبية الى بيئتنا العربية ، لأن ما يناسب الأطفال هناك ، ليس بالضرورة أن يناسب الأطفال هنا .

والصحافة الخاصة بأطفالنا يمكن أن تقدم شخصيات عربية جذابة عن طفل عربي ، مثلاً ، يقوم بمغامـرات في الصحراء التي تغلب على البيئة العربية بدلاً من أن ننقل مغامرات البحار الأجنبية ، وغيرهـا .

وفي مجال الاذاعة يحدد الأهداف العامة لبرامج الأطفـــال بحيث :

(أ) تقدم للطفل الامتاع الفكري والوجداني .

(ب) تشد الطفل الى البرامج ، فتكون الصلة وثيقة بينها وبين مشاهديها .

(ج) تقدم وجبات ثقافية مختلفة لتذوق الجمـــال والفن .

(د) تبتعد عن التعليم المطلق . وعن التدريس ، وعن الأيدولوجيات .

ويقول حول نوعية البرامج التي تجذب الأطفال : « أن يدرك الكاتب أن الطفل ذكي فعلاً ، وأنه يرفض السذاجة التي تقترب من درجة البلاهة . وأنه يجب أن تكون المادة التي نقدمها اليه ذكية الحوار ، خفيفة ، سهلة في غير انحطاط ولا تبذّل . ان الاشكال التي يغرم بها الطفل تختلف عن الأشكال التي يقبلها الكبير ، والشكل المحبوب لدى الطفل هو الشكل السريع في ايقاعه ، الخفيف في أسلوبه ، المشوق في تتـــابعه » .

ويطالب الذين يعملون في اذاعاتنا العربية : « أن يجعلوا من أعمالهـــم وبرامجهم أسباباً قوية مؤثرة للارتفـــاع بالمستوى الفكري والوجداني للطفل العربي حتى يشب انساناً قوياً سوياً ، وأن يضعوا دائماً في حسبانهم أنهم يشاركون الآباء والأمهات في تنشئة هذا الجيل الجديد الذي نرجو أن يصل بالأمة العربية الى الفجر الوليد المشرق لحضارة عربية حديثة مع مطلع القرن الحادي والعشرين » .

وفي مجال المسرح ، يسرد قصة هذا الفن – باختصار – في مصر القديمة ، وفي الصين ، وفي اليونان حتى يصل الى المسرح الروماني حيث كانت المسارح تقدم عروضها للكبار . ولم يكن دور الطفل فيها يتعدى أكثر من المشاهدة مع هؤلاء الكبار . الى أن نصل لعام ١٧٨٤ الذي شهد أول عرض مسرحي للأطفال في حديقة ضيعة « دون شارتر » بضواحي باريس . ثم بدأ مسرح الطفل ينتشر في أوربا مع بداية القرن التاسع عشر . ويستعرض نشأة هذا المسرح في أمريكا وروسيا .

ويرى : « أن يضاعف الجهد في سبيل العمل على انشاء مسرح جيد لطفلنا العربي .. وحبذا لو كانت نقطة البداية عندنا هي حيث انتهى الآخرون » .

وينادي المؤلف بأن : « نستفيد من تجارب الدول الأخرى التي سبقتنا في هذا المجال ، مع مراعاة المحاذير والمنزلقات ، حتى نصنع لأطفالنا العرب أفلاماً جذابة لها طابعها العربي ووجداننا الروحي وواقعنا العربي وهدفنا للخير والسلام » .

خصائص لغة الأطفال

وفي نهاية كتابه ، يتناول المؤلف خصائص لغة الأطفال التي يجب أن يحيط بها كل من يتعرض لثقافة الطفل بكل أشكالها ووسائلها .

ويذكر أن هناك قواميس لغـــوية للأطفال . ويقسمها الى ثلاثة قواميس . هـــي :

أولاً : قاموس لغة التعامل الحديث .

ثانياً : قاموس الكتـــابة والقراءة .

ثالثاً : القاموس الفهمي .

وفي رأيه : « ان القاموس الثالث هو أوسع هذه القواميس . وان كان من الصعب قياسه أو الاحاطة بمداه على وجه التحديد »

وتختلف القواميس الثلاثة باختلاف الظروف والبيئة الاجتماعية والعلمية للطفل ، والاختلاف الواضح – على حد قوله – الذي يجب أن نلحظه وندركه ونحسب حسابه هو اختلاف لغة الأطفال عموماً عن لغة الكبار . وهذا الاختلاف لا يقتصر على عدد ألفاظ القاموس وحدها ، ولا في المقدرة على التعبير أو على الفهم والادراك فقط . انما يتضح كذلك بين لغة

الأطفال وبين لغة الكبار في أساليب التعبير وفي دلالات الألفاظ . وهذا هو ما يجب أن يحسب له كل كاتب للطفل أكبر حساب . وأن يراعي معه أسلوب الوسيط الثقافي الذي يقدمه للطفل .

احصاءات

ولئن كان هذا الكتاب حافلاً بمعلومات وفيرة وأفكار جديدة في موضوع ثقافة الطفل . فقد كان في الوقت ذاته متضمناً لعديد من الاحصاءات التي خدمت موضوعه .

ونتوقف هنا عند نموذجين من هذه الاحصاءات على سبيل المثال لا الحصر :

تقرر بعض دراسات الأمم المتحدة حول الطفولة في العالم العربي أن نسبة الانفاق على الأطفال في مجموع الدول العربية لا تمثل أكثر من ٠,٠٣ ٪ مما كان يجب أن يمثل الحد الأدنى للانفاق على مجموع الأطفال العرب الذي يمثل تعدادهم نسبة تقدر بنحو ٤٣٪ من تعداد سكان العالم العربي .

ومن هذا الاحصاء نتبين مدى فداحة التقصير في حق أطفالنا العرب الذين يشكلون قرابة نصف تعدادنا .

اقبال طفل المدينة على الوسائط الثقافية بالنسب التالية على وجه التقريب :

٧٠ ٪ تليفزيون واذاعة .

٦٠ ٪ تليفزيون فقط .

٦٠ ٪ اذاعة فقط .

١٨ ٪ مجلات وصحف للأطفال

في حين أن نسبة اقبال طفل القرية كالآتي :

٢٠ ٪ تليفزيون .

٨٠ ٪ اذاعة .

٤٠ ٪ مجلات وصحف .

ومن هذا الاحصاء يتضح لنا مدى اقبال الطفل على الوسائط الثقافية . ومدى التفاوت في نسبة الاقبال بين أطفال المدن والقرى . والملاحظ أن حظ طفل القرية يكون قليلاً في التمتع بالوسائط الثقافية نتيجة قلة . بل وندرة وصولها اليه . وهذه مهمة الهيئات المعنية بنشر الثقافة وتحقيقها بشكل واسع بين كل الأطفال .

ملاحظات سريعة

ثم تبقى لنا بعض الملاحظات السريعة حول هذا الكتاب . ونجملها فيما يلي :

وقع المؤلف في خطأ حين ذكر أن الاعلان العالمي لحقوق الطفل قد صدر في ٢٠ ديسمبر ١٩٥٩ . في حين أنه صدر في ٢٠ نوفمبر من العام ذاته . كما أشار الى ذلك حسني نصار في كتابه « تشريعات حماية الطفولة » الصادر عن منشأة المعارف بالاسكندرية عام ١٩٧٣ .

تناول الوسائط الثقافية من كتاب . وصحيفة . ومجلة . واذاعة . وتليفزيون . ومسرح دون أن يتناول المعارض والمتاحف بالرغم من اشارته اليهما في بداية الكتاب .

لم يشر الى بعض المجلات والملاحق الخاصة بالأطفال عند حديثه عن مجلاتهم العربية . مثل مجلة « الأمل » التي تصدر في ليبيا . وملحق مجلة العربي الكويتية الذي يصدر تحت عنوان «العربي الصغير».

أفاض في تناوله لمسرح الطفل في العالم . وكنا نود أن يشير الى تجارب عربية مثل تجربة مسرح الطفل . وتجربة مسرح العرائس في مصر . وأن يرسم صورة للمسرح العربي الذي يتمناه لأطفالنا .

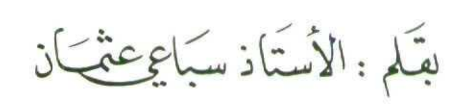
وفي ختام عرضنا لهذا الكتاب . يمكننا القول انه من الدراسات الموضوعية الجادة القليلة التي عالجت موضوع ثقافة الطفل العربي : مقروءة ومسموعة ومرئية .

وأملنا كبير في أن ينال موضوع ثقافة أطفالنا العرب اهتمام كافة الهيئات المختصة بتحقيق ثقافتهم ونشرها بين الأجيال الجديدة القادمة ●

عبد الرحمن شلش / القاهرة

قصة قصيرة

قراءة في ملامح مدينة



وأنا أبحث عن موقف مناسب في شارع الذهب .. لفحني هواء منعش برغم رائحة البحر التي تغرق المكان .. أيقنت أن فجر هذا اليوم رقيق جداً .. لفتني رائحة ذكرى قديمة .. أين.. متى .. ما هي ؟! لكنها شردت مني باصرار وغرقت في اللاوعي .. غير أنني لم آسف على عجزي عن استحضارها .. تداخلت هواجسي في خصوبة نشطة ، وتعثر خيالي .. خيل الي أن كل شيء من حولي يزهر ، وأن أعمدة الكهرباء تسكب ضوءاً أخضر تغرق به المدينة .. يا آآه ! ! حقاً أن الفجر رائع .. أيقظني من هواجسي ، سعال حاد مثقل بسنين كثيرة .. أدركت أن الدنيا لا زالت بخير ، وأن الحرب العالمية الثالثة مجرد وهم ، وخرافة .. أوقفت سيارتي وترجلت حاملاً قدراً لامعاً ووعاء .. السوق هادئة على جانبي الشارع .. أضواء النيون الملونة على الواجهات لا تزال تتلامع منهكة مع ضوء الفجر الهابط على المدينة .. اتجهت الى بائع الهريسة .. مسحت الطابور الطويل أمام المحل بعيني قبل أن أحدد المكان .. أحسست بضيق بدد انسجامي مع أفكاري .. لاحظت أن عدداً من الكهول بكروا لضمان أماكن متقدمة لهم في هذا (السرا) شعرت أن بوسعي أن أتبين من موقعي مدى الارتياح البالغ على وجوههم .. قلت أستمد من تفاؤل الشيوخ الواضح بعض العزاء ، وأخذت مكاني في (السرا)..

صبية المحل يحيطون بقدر ضخم ، يحركونه بعصي غليظة .. يتفصد العرق من جباههم السمر وهم يدمكون في جوف القدر في حركات ايقاعية رتيبة .. تناغم الايقاع شدت عيون الواقفين ، وبددت ثقل الصمت الذي يلف المكان .. تابعت الحركة باهتمام ، وخيل الي كأنني أشاهد رقصة إفريقية عنيفة .. قلت حقاً إنه منظر يستحق المشاهدة فعلاً .. إنه يكاد يكون جزءاً من هذه اللحظة التي تنظم الكون .. تأكد لي مجدداً أن الدنيا لا زالت بخير ، ما دام قدر الهريسة عامراً بذكريات جيل بأكمله ، وما دامت جرة الفول المجاورة القائمة بمثل هذا الشموخ يتطاول دخانه الى أعلى .. (السرا) يزحف ببطء شديد. الفوطة المقلمة ، والفلينة أبو عسكري الناصعة البياض ، والكوفية المنشأة ، صورة تبعث على الاطمئنان .. تذكرت أن اليوم هو الجمعة .. هو يوم الهريسة ، فالشتاء لا يزال على الأبواب .. لا أسأل لماذا ؟ يوم الجمعة ويوم الاثنين ربما خشية أن أتورط في جواب ليس هذا وقته ، غير أن بوسعي الآن أن أتخيل ما يعنيه هذا التحديد بالضبط ! !

توالت الخواطر المتناقضة في ذهني .. تذكروا الهريسة فجأة أمس .. كان ذلك حديث الليل .. قالوا (يا هو .. اشتهينا الهريسة) .. كان آخر عهدهم بها في الشتاء الماضي .. وكأنما تذكر الجميع عزيزاً غائباً منذ سنين .. قلت (أمري لله .. صحوني بدري ..) .. هكذا .. تقرر كل شيء في لحظات .. في الصباح أخذت القدر والزبدية .. البلاستيك .. أشعلت سيجارة : « يا فتاح يا عليم » .. مججتها من أول نفس ، وألقيت بها .. لفتني رائحة ذكرى قديمة في هذه اللحظة الرقيقة من الفجر .. أحسست بنشوة غامرة مع لفحة الهواء البارد .. ابتسمت برضى ، وأنا أخرج بالسيارة في هدوء ، استدرت في أول منعطف ، واعتدلت .. طريق مكة خال تماماً الا من بعض السيارات البعيدة .. اشارات المرور لا زالت تتغامز في التقاطعات ، والفجر يتهادى في بطء شديد .. رائحة الندى تجيء مركزة وتملأني احساساً بجمال العالم .. صوت المحرك ينبعث ناعماً ، مع السكون المترامي بلا حدود . استنشقت الهواء الندي .. وملأت رئتي في نشوة بالغة : « لا تسرع فالجو يغري بالسير البطيء » تبسمت وقلت : ان الجو رائع حقاً .. أعمدة الكهرباء لا تزال تضيء .

« افتح النوافذ للهواء .. » .. الضباب يعفر المنطقة بكثافة شديدة .. برج مياه جدة يتسلل الى الفضاء في شموخ ، ويعلن أن مدينة جدة لن تعطش في الصيف القادم .. الحركة تدب الآن في حلقة الخضار لاستقبال يوم جديد .. قررت

أن أتوقف عندها في طريق العودة .. تذكرت : « الطماطم غلق ، ونبغـي كزبرة ، وباذنجان أسود ، وعلى فكرة ما عندنا دجاج » ياه متى أنجز كل هذا ؟ ! .. أحسست بمشكلة حقيقية .. الزحام والمواقف واشارات المرور ، وأشياء أخرى تديـر الرأس : .. « الدجاج نبغاه مذبوح » ... دارت ماكنة تنظيف الدجاج داخل رأسي وشعرت بالغثيان .. ساعة .. ساعتان .. الله أعلم على كل حال هي مشكلة والسلام .. لا زال الطريق ينساب ناعماً مريحاً .. نفضت أفكاري من همومها .. واعتدلت .. الساعة الآن تقترب من الخامسة .. تطلعت الى القدر ، وزبدية البلاستيك .. فأطمأنت نفسي .. انعطفت واعتدلت في السير .. تفاديت حفرة باغتتني ، فتمايلت السيارة قليلاً .. قلت : « اللهم عدي هذا اليوم على خير ».. بدأت أتشاءم ..انتبهت فجأة وأنا أمر بباب شريف .. هدوء .. السوق مقفلة ، وصمت موحش يذرع الأزقة : (لا شيء أروع من الهدوء في هـذه اللحظة) .. خيل الي أنني أستعيد نشوتي . فكرت (ترى ماذا كان شكل الدنيا ، لو لم يكن هناك بائع هريسة وبائع فول) .. ابتسمت لطرافة الصورة .. فكرت أيضاً : « ما هو شكل الدنيا عند الذين لا يعرفون الهريسة « والفول » .. بيد أنني برغم هذه المجابهة القوية شعرت أن بوسعي الآن أن أجزم أن مثل هؤلاء الناس ليسوا في وضع حسن على أية حال .. ربما لأن معـزة الهريسة نبعت من روعة هذه اللحظة .. أو لعلها نبعت من نكهة الذكرى القديمة التي تلفني في الداخل ، ومهما يكن فان شكل الدنيا عندهم ليس على الأقل كما هو الآن .. أحسست برأسي يتمدد في كل الاتجاهات ، ويثقل كأنني أحمل فوق كتفي « باب شريف » بكاملها .. كل شيء يشهد الفجر الآن في هدوء برغم كل شيء ، و « عسة » عجوز عـلى الناصية يرفع كلتا يديه الى أعلى ، ويتمطى بقوة كأنما ينتزع نفسه من أحشاء الليل المغادر .. تثاءب ولملم أغراضه وبدأ يغادر المكان .. قررت أن أسلك شـارع الكورنيش في طريق العودة .. قلت : وقتئذ تكون الشمس قد بدأت في الشروق ، وسيكون من الرائع أن أشهد ميلاد الشمس على الشاطىء « هيء .. هيء .. هيء » لماذا تضحك ؟ لأن الشمس لا تشرق من البحر في جدة .. أنها تغرب فيه .. لا فرق .. فاللحظة هي كل شيء ، ولتكن في الغرب أو في الشـرق ، أو حتى في الشمال أو الجنوب .. اكتفيت بهذا التصور وأقنعت نفسي بأن لا جدوى من جدل لا يؤدي الى شيء .. هل هذه أول حقيقة نتهرب منها .. قررت أن هنـاك أشياء كثيرة تهزمنا .. نتعامل معها كما لو كنا لا نراها ..

* * *

حارة

الشام ، دبت فيها الحركة تواً ، ورواشين الأبنية القديمة تبدو كما لو كانت عيوناً ترقب الـذين استيقظوا باكراً في حنو بالغ .. أقـدام تتسحب على الاسفلت في وهن الصباح ، وسعال حاد يند في جوف الحارة هنا وهناك ليبدد السكون ، في أعقاب الليل الله يتوب علينا من هذا الدخان » .. رنين زبادي الفول في أيدي الأطفـال تروي حكاية قديمة على فم الزمان ، كلما قامت عمارة جديدة ، أو كلما تحرك « بلدوزر » البلدية هادراً ينطح بناية هنا أو يسوي أرضاً هناك يرسم خطوط غد جديد .. همهمات الحوقلة ، والاستغفار تسبق خطا الكهول المتعبة .. فاليوم هو الجمعة ، وهذا يعني أن ليلة أمس كانت حافلة .. بالتعاطف والبهجة .. علائـم الارتياح على وجوه الشيوخ تبدو غنية بأسرار الليل .. تبسمت ربما في خبث وأنا أقرأ الملامح المتوردة على الوجوه .. الفلينة أبو عسكري الناصعة البياض ، والفوطة المقلمة . والكوفية المنشّأة تلك هي ملامح الليل المريح .. ذلك ما تقوله العيون المفعمـة بالرضا .. تبسمت من جديد : « يا لعين.. الى أي مدى يمضي خيالك ؟ » « السرا » يتحرك ببطء شديد : « يا واد أطعم السمنة قبل لا تشتريها .. لا تكون الهريسة محروقة « ولكن لا فائدة .. صبيان آخر الزمن » .. رد عليه آخر « هو فيه صبيان دحين ..

سقى الله أيام زمان .. أيام كان الصبي بستين ريال » .. سعل حتى ارتجت ضلوعه .. برزت عروق وجهه بوضوح .. أسقط دمعتين باردتين ، ومسحهما براحة يده : « الله يتوب علينا من هذا الدخان.. » استعاد أنفاسه بصعوبة بالغة ، وارتخت عروقه .. الدخان المشبع برائحة الابازير يتصاعد من قدور الهريسة الضخمة .. لا أدري بماذا يحاول أن يذكرني .. أشياء كثيرة في داخلي تعيش الآن صراعاً مع الماضي ، والزمن البعيد في محاولة للصعود الى عالم الوعي .. أضغط صدغي .. بقوة ، وأحس بعجز في التعامل معها .. شعرت بأن عالماً بأكمله يتداعى في داخلي .. (السرا) بطيء .. بطيء .. وصمت يلف الواقفين .. حركة الميزان تشد العيون وتخفف من حدة الصمت ، ومرارة الانتظار : « ٢ كيلو يا عم سعد ووقيتين سمنه » .. « سالمين » صبي المحل لا يكف عن الحركة في تلبية طلبات زبائنه في الداخل .. قلت : ان « سالمين » هذا هو سبب تعاسة هذه اللحظة ، ولكن الأمور لا يمكن أن تستقيم في المحل بدون « سالمين » .. طلبات متلاحقة ، وسالمين يبتسم باستمرار ، كما لو كانت هذه هي ملامحه فعلاً « ٢ كيلو يا عم سعد ، ووقيتين سمنه » .. هز الكهل .. رأسه الأشيب وقال « دنيا ! ! » وكأنما أحدث شقا في جدار الزمن البعيد .. « أيام زمان، كان الكيلو بنص ريال » ارتاح الواقفون لهذه الكلمات التي بددت الصمت وأزاحت الكآبة الساجية في المكان .. قال البائع ، وهو يسوي الميزان المعلق : « الدنيا اتغيرت يا عم صالح .. كيلو البامية اليوم بـ ٢٠ ريال .. ضحك الكهل ، وقال : « مو ضروري تاكل بامية » ضحك الواقفون ، وساد المكان شيء من التآلف .. بريق الرضا تلامع في عينيه بوضوح ، برغم الذكرى العزيزة .. كانت نفسه من الداخل تجتر لذة هائلة لا تزال تسري كالخدر في جسده .. ليس بوسع أحد أن يتكهن الآن الى أي مدى هو سعيد ، ولكنه على أية حال ينعم بآنية رائعة .. سعل بعنف ، وتفل أمامه في ترف اللحظة .. زحف الطابور ببطء .. طلبات المحل جمدت زحف السرا من جديد .. ما أسوأ « سالمين » هذا . لقد أفسد روعة هذا الصباح .. تحرك (السرا) قليلاً ، فوجد نفسه أمام الميزان دفعة واحدة .. لاحظت أن هذا الحدث لم يثره مطلقاً « يا ولدي الصبر طيب » .. كان واضحاً أنه يستوحي هذه اللامبالاة من داخله المترع بالرضا .. تخيل الكهل وأمعن في الخيال . واسترجع بعض المواقف الحميمة ، ولام نفسه في خجل .. قرر أن الانسان يبدو أحياناً كما لو كان حيواناً .. أنه يفقد وقاره .. ابتسم في حياء .. ربما من موقف معين . وأرخى عينيه .. تلفّت حوله ، كمن يتأكد ما اذا كان هناك أحد يراقب أفكاره .. هز رأسه .. ونفض هواجسه في داخله .. عز عليه أن يعكر صفو هذا الصباح .. أحس بوهن في قدميه رغم سعادته البالغة « لا يهم » .. قرر أن الهريسة هي أفضل تعويض لمثل هذا الانهاك .. شعر بتآلف كبير مع أفكاره .. بدأت جرة الفول المجاورة تميل أكثر والزحام يشتد حول البائع .. طابور طويل .. طويل .. تناول قدر الهريسة بعناية .. تفرس في بعض الوجوه لأول مرة .. قال ان الحياة أصبحت بدون طعم .. وأن الأمور أصبحت معقدة ، وأن الناس بدأت تتفكك من بعضها كما تتفكك هياكل الموتى .. ما الذي أصاب الناس ؟.. يا لطيف .. استدار ببطء .. وفي نفسه مرارة هذا التصور .. شيعته بود ، وهو يغيب في أول زقاق .. تصورته خلف عالم بكامله يحاول أن يخترقه فيعجز بدون أن يفهم سر عجزه : « يا فتاح يا عليم ».. أبواب بعض الدكاكين تعلن عن يوم جديد .. قررت أن الصباح فقد روعته .. حملت قدر الهريسة ، ومشيت وأرخيت مظلة الزجاج لاتقي وهج الشمس التي ظهرت فجأة خلف الابنية .. استيقظت المدينة دفعة واحدة .. وامتلأت الشوارع بالسيارات .. رائحة الذكرى القديمة تلاشت وتبددت وسقطت الأشياء الحميمة في العمق البعيد من نفسي ●

سباعي أحمد عثمان / جـدة

انتاج زيت خام اصطناعي من القار

في الوقت الذي يزداد فيه الطلب على الزيت الخام ، تقوم جهات متعددة بالبحث عن بدائل تسد مكان الزيت . وتقوم مقامه في مجال انتاج الطاقة ، وتعويض ما ينقص منه في المستقبل وذلك على المدى البعيد .



أن بدائل الزيت أنواع ، منها الجافة ، وهي الطاقة الناتجة عن مصادر التوليد النووية والشمسية ومساقط المياه والرياح والتيارات البحرية ، وأغلب منتوجات هذه المصادر هي الطاقة الكهربائية ، ومنها الرطبة السائلة القريبة الشبه بالزيت الخام الهيدروكربوني المعروف .. وهي المستخلصة من صخور السجيل والفحم والرمل الاسفلتي أو القار ، الذي نحن بصدد الحديث عنه .

ومع أن تقديرات الزيت المتوفرة في ذلك الرمل أو القار كبيرة جداً ، الا أن الانتاج لا يزال في حدود بضع عشرات من آلاف البراميل يومياً . وهي كمية ضئيلة جداً بالنسبة الى الاستهلاك العالمي ، لكنها – بطبيعة الحال – تشكل نسبة جيدة في استهلاك البلاد المنتجة لها ، أو في المناطق التي يتوفر فيها القار بكميات كبيرة كالموجودة في مقاطعة البرتا – Alberta في كنـــدا .

فهناك ، على جانبي نهر أثباسكا – Athabasca ، تمتـــد هضاب الرمال الزيتية – Oil Sands أو ما يسمى « القار – Bitumen » لمساحات واسعة لدرجة أن الخبراء يقدرون ما تحتويه من الزيت الخام الاصطناعي بنحو ٦٠٠ بليون برميل أو ما يساوي تقريباً احتياطي العالم الثابت وجوده من الزيت الخام المعروف حتى نهاية عام ١٩٧٨ . ومع أن قـــدرة الشركة الضخمة التي أنشئت حديثـــاً لاستخلاص هذا الزيت من تلك الرمال لا تتعدى جزءاً يسيراً من هذه الكميات الا أنه من المؤمل ، مع التقدم التقني في المستقبل ، أن تتطور فتصبح كمياته كبيرة جداً . ومن المتوقع أن تنتج الشركة القائمة بالعمل نحو بليون برميل « ألف مليون » من الزيت الخام الاصطناعي خـــلال السنوات الخمس والعشرين القادمة .

ومما يعكس ضخامة هذا المشروع هو تكاليف معداته ومنشآته والتي تقدر بحوالي ٢,١ بليون دولار . ففي هـــذا المشروع الكبير الذي بدأ أعماله في يوليه ١٩٧٨ أربع جرافات ضخمة تشكل كل منها خط عمل مستقلاً . اذ تبلغ طاقة الواحدة منها نحو ٨٠ ياردة مكعبة في المرة الواحدة . أما تكاليف الجرافة الواحدة مع حزام نقل الرمل المتصل بها فتتراوح بين ٢٥ و ٣٠ مليون دولار . وعندما تبـــدأ

١ – جانب من احدى وحدات العمل حيث تقوم الجرافة الرافعة بنقل الرمل الاسفلتي من المنجم الى الحزام الخاص بنقله الى حيث يجري استخلاص الزيت منه .
٢ – حفارة من النوع الذي كان مستخدماً في الستينات وتبلغ طاقتها القصوى ٤٠٠ طن في الساعة ، في حين تبلغ طاقة النوع المستخدم اليوم ٧٠٠٠ طن في الساعة .





١

الجرافات العمل بكامل طاقتها سيصبح المشروع من أضخم مشاريع مناولة المواد ، أو الأتربة ، في العالم ، اذ أنها ستنقل حوالي ٢٥٠٠٠٠ طن من الرمل الزيتي يومياً . ومن هذه الكميات الضخمة من الرمال يمكن انتاج حوالي ١٢٩٠٠٠ برميل من الزيت الخام الاصطناعي ، أي بمعدل برميل واحد تقريباً من كل طنين من الرمل الزيتي .

وهذه الكمية على قلتها ستقلل من نسبة استهلاك كندا للزيت الخام الاحتياطي الموجود لديها . كما أن مشروعاً كهذا سيدعم اقتصادها ويوفر فرص عمل دائمة لحوالي عشرة آلاف شخص منهم ثلاثة آلاف في موقع العمل ذاته . وقد نشطت الأعمال العمرانية والتجارية بشكل ملحوظ في مدينة ماكموري ، القريبة من الموقع ، والتي يزيد عدد سكانها اليوم على ٢٥٠٠٠ نسمة .

عملية انتاج الخام

تبدأ عملية الانتاج عندما تأخذ الجرافات الضخمة ، التي يبلغ وزن الواحدة منها ٦٧٥٠ طناً وارتفاعها عشرين طابقاً ، بجرف الرمل الزيتي الأسود وتفريغه على حزام كبير متحرك ينقله الى معمل للتنقية والاستخلاص . وهناك يمتزج الرمل بماء حار وبخار وهيدروكسيد الصوديوم فيصبح الخليط طيناً رخواً . ثم تجرى له بعد ذلك ما يشبه عملية التهوية . ليطفو القار على السطح فيمرر بأجهزة أخرى تفصل منه الماء وتنقيه من الشوائب الأخرى .

وبعد ذلك يسخن القار المستخرج ، في مراجل ضخمة ، الى نحو ألف درجة فرنهايت فيتجزأ الى فحم صلب — Solid Coke ، ونفتا — Naphtha ، وزيت غازي — Gas Oil . وهذا الأخير هو عبارة عن سائل بين الكيروسين والزيت الخفيف . وبعد المعالجة ، وازالة الكبريت والنتروجين ، يمزج الزيت الغازي والنفتا لانتاج زيت خام اصطناعي عالي الجودة .

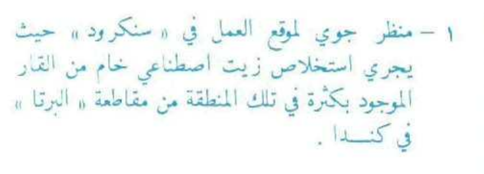
ماضي المشروع ومستقبله

قبل ٢٠٠ عام تقريباً لفتت هذه الرمال نظر أحد تجار الفراء عندما لاحظ أن القار الأسود يسيل في الرمل بمحاذاة النهر . وكان سكان تلك البلاد الأصليون يستعملون تلك المادة وقوداً يستخدمونه في مخيماتهم . كما كانوا يستخدمونه في طلاء الشقوق في قواربهم بعد مزجه بنوع من الصمغ يساعد على تماسكه .

وفي عام ١٨٧٥ ، أي قبل نحو مائة عام ، أجرت الحكومة الكندية مسحاً جيولوجياً لتلك الجهات ، وبعد ١٣ سنة تقريباً حجزت حوالي ٤٠٠٠٠ ميل مربع في منطقة أثباسكا لحماية مصالحها في الزيت المتوقع استخراجه . وكانوا حينذاك يعتقدون بأن الزيت — أو القار — الظاهر في الطبقة السطحية يتسرب من مكامن له في باطن الأرض . وقبل نهاية القرن الماضي بدأوا أعمال الحفر التقليدي يحدوهم الأمل في العثور على مخزون ضخم من الزيت الخام .

وفي عام ١٩١٣ عينت الحكومة الكندية مهندساً في التعدين للتأكد من مدى فائدة تلك الرمال الزيتية من الناحية التجارية . فأجرى أولى تجاربه على

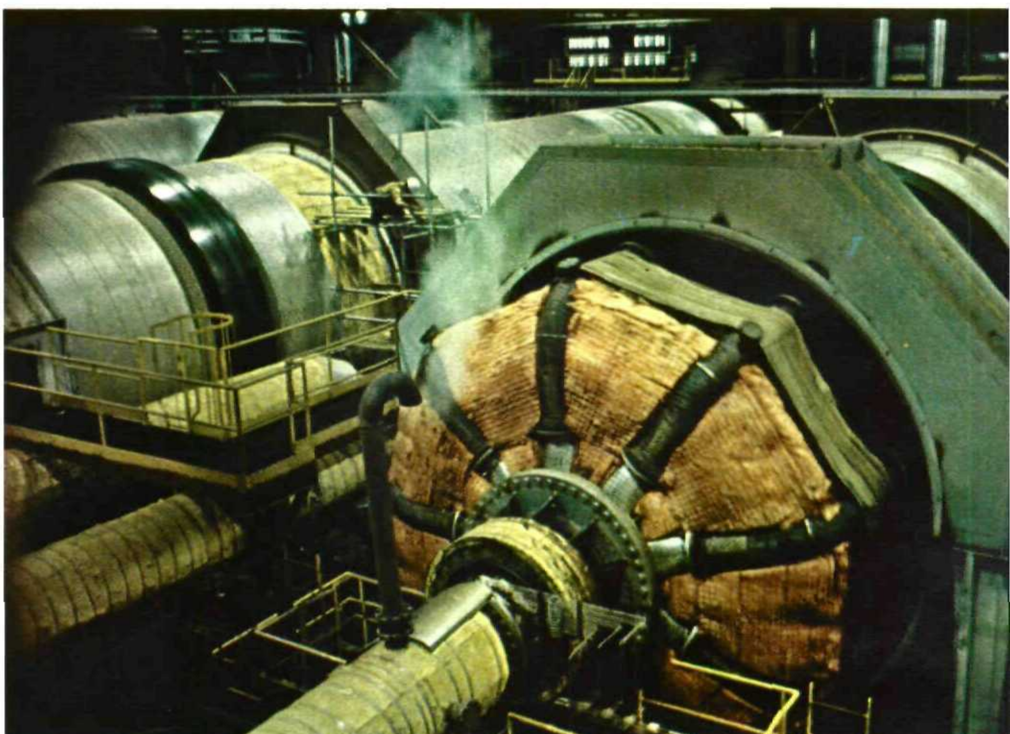
٢



١ – منظر جوي لموقع العمل في « سنكرود » حيث يجري استخلاص زيت اصطناعي خام من القار الموجود بكثرة في تلك المنطقة من مقاطعة « البرتا » في كنـــدا .

٢ – انابيب من مختلف الاشكال والمقاسات في معمل تكرير الزيت المستخرج من الرمل الاسفلتي .

٣ – الصهاريج الضخمـــة الدوارة طول الواحـــد منها حوالي ٣٠ متراً تستخدم في مزج الرمـــل الزيتي الخام مع ماء حار وبخار وهيدروكسايد الصوديوم بقصد استخلاص الزيت وبالتالي تحسينه .



٣



جرافة ضخمة تنقل جانباً من الرمل الزيتي الخام المستخرج حديثاً الى حزام متحرك يتولى بدوره نقل الرمل الى معمل استخلاص الزيت منـــه .

استخدام تلك الرمال في سفلتة الطرق ، ثم أخذ يحاول استخلاص القار وفصله عن الرمل . وبالفحص والتحليل ظهر له أن حوالي ٨٤ في المئة من الرمل الاسفلتي رمل خالص ، وحوالي ١١ في المئة قار — Bitumen ، و ٤ في المئة ماء يغلف ذرات الرمل ويعزلها عن الزيت . وكان ذلك المهندس من أوائل الذين اقترحوا استخدام الماء الحار لفصل القار من الرمـــل والماء .

وخلال النصف الأول من القـــرن الحالي قام عدد من الشركات والمؤسسات الحكومية بمشاريع متعددة للاستفادة من الخام الموجود في تلك الرمال . وقد سلك الخبراء ، في الحصول على الزيت ، طرقاً مختلفة ووسائل متعددة ومتنوعة . لكن الجهود كانت غالباً ما تسير في أحـــد اتجاهين : أن يستخلص القار من الرمل ويشحن دون تكرير ليستخدم في تعبيد الطرق والشوارع ، وفي سقوف المنـــازل والحظائر وغير ذلك ، أو أن تحسن نوعية القار المستخلص ليصبح زيتاً خاماً اصطناعياً .

لكن تلك العمليـــات والمحاولات توقفت في حوالي عام ١٩٥٠ لسبب ما . ومع ذلك أظهر عدد من شركات الزيت اهتماماً بالرمل الأسفلتي وبتطوير وسائل استخلاص الزيت وتحسين نوعيته . وفي أواخر الخمسينات تأسست شركة خاصة وأقامت معملاً لها في شمالي بلدة فورت مكموري — Fort McMurray ، وهي التي تحولت بالتالي الى مشروع سنكرود — Syncrude الضخم الحالي . وفي عام ١٩٧٢ سمحت حكومة مقاطعة « البرتا » للشركة باقامة مرافق لانتـــاج الزيت من تلك الرمال وتحسين نوعه . وتبلغ طاقة تلك المرافق حوالي ١٢٥ ٠٠٠ برميـــل يومياً .

غير أن تلك الشركة أصيبت بنكسة في عام ١٩٧٤ عندما وجد القائمون على أعمال الانشاء أن التكاليف قد تتضاعف وأنها ربما تزيد على بليوني دولار . وعلى أثر ذلك انسحبت احدى الشركـــات المساهمة في المشروع الذي أصبح في حاجة لزيادة رأس ماله بنحو ٦٠٠ مليون دولار . وكانت نفقات سير أعمـــال الانشاء في ذلك المشروع تقدر بحوالي مليون دولار يومياً ، الأمر الذي هـــدد الشركة بالتوقف اذا لم تحل المشكلة لامداد المشروع بالمال اللازم خلال شهرين . وقد تمكنوا من توفير ذلك واستمروا في انجاز مراحـــل العمل .

ان محاولات انتاج الزيت الخام من الرمل الاسفلتي قريبة كذلك من محاولات انتاج وقود سائل من الفحم . فقد أقيمت لذلك عدة مرافق في مناطق مختلفة من الولايات المتحدة الأمريكية ، ومنهـــا مشروع قريب من مدينة بيتـــاون — Baytown في ولاية تكساس ، الذي يتوقع أن يتم انجازه خلال عام ١٩٧٩ ، وتبلغ طاقته ٢٥٠ طناً من الفحم يومياً ، وتقدر تكاليفه بنحو ١١٠ ملايين دولار . وهذا المشروع هو جزء من مشروع أكبر تبلغ تكاليفه ٢٤٠ مليون دولار ، وتساهم فيه مجموعة من الشركات والمؤسسات .

وتبدأ عملية انتاج الوقود السائل من الفحم بسحق الفحم وطحنه ثم خلطه بزيت غني بالهيدروجين . وبعد ذلك يمزج الناتج بهيدروجين اضافي ويُسخن ويُمرر في مفاعل ذي حرارة عالية يحدث تحولاً كيماوياً في الفحم فيسل زيتاً اصطناعياً . وبعد هذه المرحلة يعالج الناتج مرة أخرى لانتاج البنزين وزيت التدفئة والوقود الثقيل .

وعلى أية حال فان النجاح في انتاج الزيت الاصطناعي ، سواء من الرمل الاسفلتي أو الفحم أو صخور السجيل ، سيخفف — ولو بنسبة محدودة — من حدة الطلب على الزيت الخام الطبيعي ، وربما يساعد في تعويض ما قد ينضب من موارد الزيت الخام المعروفة في المستقبل . الا أن مستقبل المشروع يتوقف عـــلى النتائج والفوائد التي سيحققها اذ أنه من الصعب ضمان نجاح مشروع ضخم تربو تكاليفه على بليوني دولار وهو لا يزال في مراحله الأولية ويقوم فقط على استخلاص الزيت من الرمـــال ●

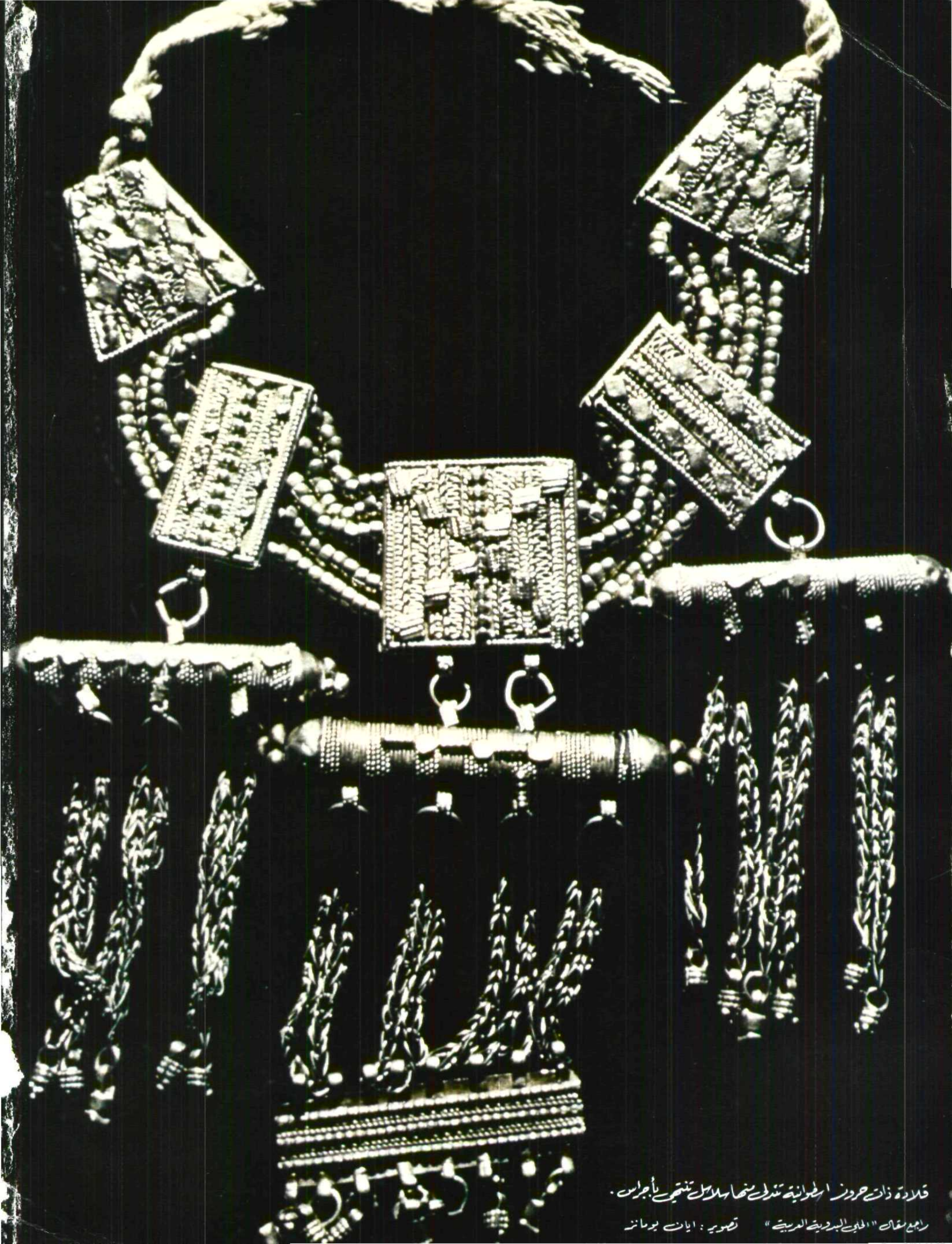
إبراهيـــم أحـــمد الشـــنطي / هيئة التحرير

تصوير : جون دي فيزر



زار من الفضة والذهب ذات فصوص زرقاء من الفيروز

ـرامج مكاكي " الحلي البدوية " — تصوير : ايان يوماتز



قلادة ذات حروز اسطوانية تتدلى منها سلاسل تنتهي بأجراس.

راجع مقال "الحلي البدوية العربية"   تصوير: ايان يومانز